أسس وضوابط التعايش السلمي
في ضوء الفكر الإسلامي

إعداد

د. محمود مسعود نصار

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم جامعة المنيا (مصر)،
والأستاذ المشارك بكلية الشريعة والأنظمة قسم الثقافة الإسلامية
جامعة الطائف (السعودية)

من ٨٧٣ إلى ٩٥٤

Foundations and requirements of peaceful coexistence in light of Islamic thought.

Dr.. Mahmoud Masoud Nassar

Assistant Professor, Faculty of Dar Al Uloom, Minya University (Egypt),

Associate Professor at the College of Sharia and Regulations, Department of Islamic Culture, Taif University (Saudi Arabia)

أسس وضوابط التعايش السلمي في ضوء الفكر الإسلامي

محمود مسعود نصار
قسم الثقافة الإسلامية ،كلية الشريعة والأنظمة، جامعة الطائف ،المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: mmassoud@tu.edu.sa

ملخص بحث:
تُعد مسألة التعايش السلمي فكرة جوهرية في حياة البشر، فلا يستطيع البشر أن يكونوا مجتمعا متماسكا متضامنا بدون وجود قواعد وأسس يقوم عليها تعايش الناس بعضهم بعضا، وذلك لنعالج في هذا البحث عددا من القضايا المتعلقة بالتعايش السلمي وأسسه ومبادئه وفق منهج الفكر الإسلامي الوسطي، وغرضنا من هذه الدراسة تقديم بيان جوهر التعايش السلمي وعدم معارضته للتمايز بطرح واضح وأسلوب جديد من جهة الموضوع، ومن جهة الحلول، فهناك شبهات قوية حول مسألة التعايش السلمي يرددها المستشرقون وغيرهم حول الفكر الإسلامي ومارسته منذ خلافة الصديق رضى الله عنه إلى اليوم، وسنبين موقف المسلمين الناصع من هذه المسألة، وسنرصد ما نسب إلى الفكر الإسلامي من أخطاء، ونعمل على معالجتها وفق فهمنا للإسلام وعقائده ونصوصه.

أما إشكالية البحث فهي دراسة مدى تناسب مسألة التعايش السلمي مع الفكر الإسلامي الذي يوقن أصحابه بصحة الإسلام وبطلان ما عداه من الأديان، فهل يستقيم مع هذا المعتقد الجازم تعايشا حقيقا؟ أم مجرد مماحكات صورية، ومظاهر شكلية؟

أما منهجية البحث: فقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي النقدي، ملتزما بالإجراءات البحثية المتعارف عليها في البحث العلمي، عزوا وتوثيقا، وترتيبا، واعتمادا للمصادر الأصيلة والمراجع المعتبرة في مجال البحث وموضوعه.

وكان للبحث نتائج عديدة من أهمها بلا شك إثبات أن الإسلام وقواعده يمكن أن يكون وسيلة للتعايش ببناء أرضية مشتركة صنعها الإسلام عقيدة وشريعة مع مخالفيه فكرا وممارسة عبر الزمن.

وسوف يدور البحث في تمهيد وثلاثة مباحث على النحو التالي:

التمهيد: دلالات التعايش لغة واصطلاحا وبعض المصطلحات المقاربة للتعايش السلمي.المبحث الأول: أسس ومنطلقات التعايش السلمي في الفكر الإسلامي.,المبحث الثاني: مبادئ ومرتكزات التعايش السلمي في الفكر الإسلامي.المبحث الثالث: معوقات وعقبات في طريق التعايش السلمي بين الزعم والحقيقة.ثم يختم البحث بخاتمة تحوي أهم نتائجه وتوصياته.

الكلمات المفتاحية: التعايش السلمي؛ التفاعل الحضاري؛ التبادل الثقافي؛ الفكر الإسلامي؛ الفكر الغربي؛ الأمم؛ الحضارات؛ الثقافات؛ الدين؛ الأخلاق؛ المجتمع؛ التعاون؛ البر؛ العدل؛ الحرية.

Foundations And Requirements Of Peaceful Coexistence In light Of Islamic Thought.

Mahmoud Masoud Nassar
Department Of Islamic Culture, College Of Sharia And Regulations, Taif University, Saudi Arabia
Email: mmassoud@tu.edu.sa

Summary:

Peaceful coexistence is an essential idea in human life, there must be rules and foundations upon which people can coexist with each other.
In this research, we study a number of issues related to peaceful coexistence and its foundations according to the approach of moderate Islamic thought.
Our purpose in this study is to provide an explanation of the essence of peaceful coexistence and its lack of opposition to differentiation, with a clear presentation and a new approach in terms of the topic and in terms of solutions.
There are suspicions raised by Orientalists and others about peaceful coexistence among Muslims. Therefore, we will monitor the errors attributed to Islamic thought, and work to address them according to our understanding of Islam.
As for the research methodology: In this research, I followed the inductive method and the critical analytical method.
Among the most important results of the research: Proving that Islam itself calls for coexistence between nations by building common ground with its opponents
The research will revolve around an introduction and three sections as follows:Introduction: The connotations of coexistence, language, terminology, and some terms related to peaceful coexistence.The first topic: The foundations and starting points of peaceful coexistence in Islamic thought.The second topic: Principles and foundations of peaceful coexistence in Islamic thought.The third topic: Obstacles in the way of peaceful coexistence between claims and truth. The research ends with a conclusion containing its most important results and recommendations.

Keywords: Peaceful Coexistence; Civilizational Interaction; Cultural Interpretation; Islamic Thought; The West; Thought; Civilizations;Cultures; Religion; Ethics; Society; Cooperation, Righteousness; Justice;Freedom.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

بادئ ذي بدء، تُعد مسألة التعايش السلمي فكرة جوهرية في حياة البشر، فلا يستطيع البشر أن يكونوا مجتمعا متماسكا متضامنا بدون وجود قواعد وأسس ومبادئ ومرتكزات يقوم عليها تعايش الناس بعضهم بعضا، بل لا يثبت روح التعايش السلمي بينهم من غير فهم مجموعة مضامين متفق عليها وأطر موثوق بها بينهم، وربما لا يستطيعون أن يقيموا تعايشا سلميا آمنا من غير وضوح دلالات هذا التعايش فيما بينهم وسيطرته على مجموع عقولهم وقلوبهم، ومن هنا نعمد إلى كتابة هذا البحث حول تلك المسألة الملحة في كل عصر وفي عصرنا بصفة خاصة، وذلك لنعالج فيها عددا من القضايا المتعلقة بالتعايش السلمي وأسسه ومبادئه وفق منهج الفكر الإسلامي الوسطي الذي سطره علماء المسلمين في أبواب علومهم المتنوعة.

ولم نشأ نقتصر على مفكر أو عالم أو مفسر أو فقيه لندرس عنده المسألة؛ لأننا وجدنا صياغتها على صورة عامة أجود في نتائجها وأقرب في العمل بما يمكن الوصول إليه من نتائج، خاصة لأن القضية مطروحة منذ زمن بعيد واشتغلت بها العقول في مناحي كثيرة، وسوف نقدم بإذن الله رؤية جديدة نهدف منها الخير لمن يريد تعايشا حقيقا مع عقيدتنا، ونزعم أن هذا العمل هو دين علينا نحو أهلنا من غير المسلمين، فقد قصرنا في رعاية حقوقهم وإبداء رؤية إسلامية ناضجة تحترم عقول الناس كل الناس، وإن كان أهلنا ممن يعايشنا من غير المسلمين أصحاب حق علينا، فإخواننا من المسلمين أصحاب فضل علينا سابق ولاحق، ومن حقهم أن يجتهد الباحثون من أبنائهم لتقديم حلول لمشكلاتهم مع جيرانهم وأقاربهم من غير المسلمين، وهذا ما نرجو أن نكون قد وفقنا في تقديمه في هذه الورقة، ولا توفيق إلا بعون ربنا سبحانه وتعالى، وإن كان من نقص وتقصير فهو منا ومن أهوائنا.

فبعون الله وحوله سنحاول بيان موقف المسلمين الناصع من هذه المسألة، ولن نقصر في رصد ما نصل إليه من أخطاء نسبت للفكر الإسلامي، ونعمل على معالجتها وفق فهمنا للإسلام وعقائده ونصوصه التي عايشناها بحثا

ودراسة أكثر من ربع قرن، وكذلك لن نألو جهدا في بيان هل تتصل هذه الأخطاء بالفكر الإسلامي من حيث هو؟ أو نبين أنه مجرد زعم صارت به الركبان؟ مبينين أيضا هل هذه الأخطاء مرتبطة بالتعصب للأجناس والجهل بالأديان؟ أم أنه ثمة مخالطة للفكر الإسلامي الصافي بينها وبين محاور التعصب للجنس والعرق واللون والدين؟ أم تشابك الأمر؟ فاختلط الحابل بالنابل! وقد سبقنا علماء أفذاذ برصد أخطاء في الفكر الإسلامي، ومن هؤلاء الإمام الغزالي في الإحياء فقد رصد –رحمه الله–كثيرا من هذه الأغاليط في كلام القصاصين، حيث يقول " أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات"[١] وكذلك دشن ابن رشد في كتابه العظيم مناهج الأدلة شيئا من هذا[٢]، فإذا كان ذلك في عصر متقدم كزمن الإمام الغزالي، فالذين عمدوا إلى نسبة أهوائهم وترهاتهم وتحيزاتهم الحزبية وأفكارهم العنصرية وجهالاتهم بالإسلام الحنيف في عصرنا أكثر بلا شك.

أما إشكالية البحث فهي دراسة مدى تناسب مسألة التعايش السلمي مع الفكر الإسلامي الذي يوقن أصحابه بصحة الإسلام وبطلان ما عداه من الأديان، فهل يستقيم مع هذا المعتقد الجازم تعايشا حقيقا؟ أم مجرد مماحكات صورية، ومظاهر شكلية؟

---

[١] **الغزالي**، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علو الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج١، ص ٣٤، ٣٥ وانظر ج٣، ص ٣٩٥، ٣٩٧.

[٢] ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم أستاذ أساتذتنا د. محمود قاسم عميد دار العلوم الأسبق، ط٢، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٤م، ص ٦٩. ففي هذه الصفحة والتي قبلها وبعدها كمثال، رصد علامة المغرب وكبير فلاسفة المسلمين في هذا الكتاب عدد من الأغاليط التي شابت طرق التفكر عند بعض علماء المسلمين، خاصة الصراع الذي دار في مسألة خلق القرآن والذي وصل حدته لتكفير كل طرف للأخر غلوا منهما معا وعلق ابن رشد قائلا: "ولو حاولا الفهم، في غير تعصب وحنق، لعلما أن كلا منهما أصاب جزءا من الحقيقة وأن الخلاف بينهما أهون مما كانا يعتقدان" ولست منشغلا هنا بمثل ما رصده ابن رشد ولا حجة الإسلام، إنما قصدت أن أنظر في موضوعي بطريقتهما وليس القصد الوصول إلى نتائجهما فهما عالمان بارزان في تاريخ الإسلام ومثلي لا يحط علما بعلمهما فما بالك بتاريخ الإسلام.

منهجية البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي النقدي، حيث قمت بجمع المادة العلمية من مصادرها المختلفة قديما وحديثا، ثم عملت على تحليل ما هو غالب ومشهور من أفكار في هذا المنحى، ثم نقد بعض الأوهام التي عدها بعض الباحثين مسلمات، وبينت وجهة نظر الفكر الإسلامي منها، ملتزما بالإجراءات البحثية المتعارف عليها في البحث العلمي، عزوا وتوثيقا، وترتيبا، واعتمادا للمصادر الأصيلة والمراجع المعتبرة في مجال البحث وموضوعه.

ومن حسن الطالع أنه بدأت الدراسات حول التعايش السلمي تزداد في الآونة الأخيرة[١]، لكن الباحث نظر في كثير منها فوجدها، إما أنها تدعو للتعايش بناء على عاطفة أخلاقية أكثر من دعوتها إلى بناء رؤية فكرية متينة في إطارها، واضحة في معالمها، قائمة على قول الحق لذاته، وإما يشوبها العور في لغتها الخطابية التي لا تحل مشكلة، بل توجد نوع من الجدل والديالكتيك الذي ينحو نحو المماحكة الفكرية والثقافية ليس إلا، وهو ما لم يقبل به الباحث بحال، خاصة في زمن كُشفت فيه العورات وتناطحت فيه الأفكار وتلاقحت حتى أنتجت جيلا جديدا يحتاج منا أن نحترف حرف عصرهم من قول الحق بصورة واضحة متينة، وما يرجوه منا أن نحسن عرض فكرنا بذوق نبينا صلى الله عليه وسلم الذي يسمع عتبة وهو يهرف دون أن يقاطع قوله، فمع خلافه الجذري، فالرجل جاء يطلب تعايشا ويقدم حلا بلا شك، ولو كان الأمر دنيويا بحتا لما زاد عاقل على ما قاله عتبة شيئا، في صلح دنيوي

---

[١] أغلب هذه الدراسات تدرس الجانب الفقهي من حيث طريقة التعامل مع غير المسلمين وبيان حقوقهم، وطريقة الحوار معهم، وهذه الدراسة تهدف الى بيان موقف الفكر الإسلامي من ذات المشكلات، مع دراسة بعض المسائل العقدية التي ينبغي فهمها وهو جانب مهم بلا شك، لكننا نعتني بحلول فكرية تؤيد الفقه ولا تتعارض مع أطروحاته، ببحث قضايا لم تكن مطروحة من قبل أو على الأقل توجه سادتنا الفقهاء إلى مخارج وحلول تتناسب مع عصرنا، فالفقه والفكر متكاملان وليسا متعارضان، حيث منطلق كل منهما مصادر التشريع وهدف كل منهما إيجاد حلول تناسب الواقع في ضوء التراث والمعاصرة.

بحت، لهذا سمع الحبيب صلى الله عليه وسلم كل مقالته حتى فرغ الرجل من أطروحته، ثم ناداه بأحب الأسماء إليه، وفي أدب جم وذوق رفيع: أفرغت يا أبا الوليد؟ ثم تلا عليه ما نزل دون تفسير فالرجل عربي قح قادر على إدراك القرآن في أحسن صورة، لذا سلم مؤمنا وعاد بوجه غير الذي جاء به، ولولا العصبية والكبر لكان للرجلِ مقام في الإسلام رفيع إلا أنه كفر وهو يعلم أنه الحق! فسوف أنحو بقدر طاقتي على هذه الصورة من الحوار الهادف، وبلغة لا يغلفها إلا احترام أصحاب العقول علهم أن يجدوا عندي حلا أو أنبه إلى حل لمن هم أجدر فأشرف بفتح باب خير لمن هو أفقه مني ولن أحرم الأجر بفضل من ربي.

ولا أدعى أني فحصت كل ما كتب حول الموضوع بكل اللغات، لكنى اجتهدت قدر طاقتي وكان معظم الدراسات التي نظرت فيها للأسف، إما ذات لغة خطابية لا تقدم أدلة علمية أو مبررات للتعايش على أسس حقيقية، وإما ذات طبيعة جدلية هروبا من فهم النصوص بأسس معاصرة أو بعدا عن فهمها فهما جديدا يتفق مع عصرنا المتشابك والمتلاحق.

ولا أنكر وجود محاولات جادة خاصة تلك الدراسات العلمية الجامعية، والتي بلا شك مُفكر فيها من قبل مشرفين ومناقشين، وبعض هذه الدراسات السابقة انشغلت بالأحكام الفقهية، ولم يستطع أن ينفذ من خلالها إلى رؤية فقهية معاصرة وأحيانا قصرت عن فهم مراد سادتنا من العلماء السابقين، ومن النوع الجيد، رسالة مميزة نوقشت في كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر لباحث إندونيسي وهو د. سورحمن هدايات، وعنوان رسالته هو التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في دولة واحدة، والرسالة جيدة في نظرتها الأخلاقية للتعايش وكذلك في مادتها العلمية والفقهية، لكنها في الآن ذاته لا تقدم نسقا فكريا محكما لإقامة تعايش متين وهو ما نهدف إليه هنا، فمثلا كيف تدعو للتعايش والتمايز دون أن تبين فائدة التمايز في التعايش ذاته، وهذا ما سيكشفه هذا البحث على نحو من الأنحاء، وقدمت دراسة (التعايش السلمي من منظور إسلامي) نظرة للدراسات السابقة في الشأن وبينت بعد عرض الكثير منها أن معظم هذه الدراسات يدور حول فكرة التعايش من خلال مضامين

معينة منها الروابط الاجتماعية ومنها العدل والمساواة ومنها الحقوق المشتركة ومنها المواطنة ومنها إظهار سماحة الإسلام، وبعض هذه الدراسات جاءت وصفية ولم تقتحم المشكلة بكل جرأة خوفا من نقد الغلاة؛ لذا لا حاجة لنا أن نسرد ما تم في كل تلك الدراسات وأكتفي بالإحالة إلى دراسة د/عبد ربه عبدالقادر حسن عنزي الأستاذ بجامعة غزة وذلك عام ٢٠١٥[١]، حيث قدم عرضا لبعض من هذه الدراسات السابقة ونقدا لبعضها، ومعظم هذه الدراسات خطابية، قد تصل للمنحى الصحفي، فلا جدوى من نقدها هنا نقدا مباشرا، وبلا شك هناك دراسات جادة قد أفدنا منها في أحد مناحي الدراسة وليس في كل جوانبها وأثبتنا ذلك في طيات البحث.

والذي نرنو إليه من خلال هذه الدراسة هو تقديم بيان **جوهر التعايش وعدم معارضته للتمايز** بطرح واضح وأسلوب جديد من جهة الموضوع، وليس من جهة التاريخ فقط، حيث هناك شبيهات قوية حول مسألة التعايش السلمي يرددها المستشرقون وغيرهم حول الفكر الإسلامي منذ خلافة الصديق رضى الله عنه إلى اليوم وما أنتجه العلماء المسلمون، وسوف يدور البحث في تمهيد وثلاثة مباحث، يدرس التمهيد دلالات التعايش لغة واصطلاحا تحت عنوان: مصطلح التعايش والمصطلحات المقاربة وعلاقتها بمسألة الولاء والبراء، وقدمنا الولاء والبراء لأنه إشكالية المشكلات في هذا الموضوع، ثم فصلناه في نهاية البحث وذلك لأن غلط الدارسين في الأساس يقع في هذه النقطة تحديدا، وجاءت مباحث الدراسة الثلاثة على النحو الآتي:

المبحث الأول: أسس ومنطلقات التعايش السلمي في الفكر الإسلامي.

المبحث الثاني: مبادئ ومرتكزات التعايش السلمي في الفكر الإسلامي.

المبحث الثالث: معوقات وعقبات في طريق التعايش السلمي بين الزعم والحقيقة.

ثم يختم البحث بخاتمة تحوي أهم نتائجه وتوصياته.

---

[١] د. عبد ربه عبد القادر حسن عنزي الباحث بجامعة غزة، التعايش السلمي من منظور إسلامي، مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات، العدد الحادي والأربعين، عام ٢٠١٥، ص ١٨٤،١٨٣.

وأخيرا أدعو الله تعالى ألاّ أحرم أجر المجتهد أصاب أو أخطأ، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

مصطلح التعايش والمصطلحات المقاربة وعلاقتها بمسألة الولاء والبراء

ندرس من خلاله دلالات مصطلح التعايش السلمي وتشابك مفهوم التعايش السلمي بمسألة الولاء والبراء في الفكر الإسلامي وكيف فهم المفكرون المسلمون الولاء والبراء فهما صحيحا في معظم التراث الإسلامي، عدا شذرات قليلة لم تتوافق أفكارهم فيها مع الدعوة الإسلامية الناصعة، بل أضرت بنشر الإسلام أحيانا، من ذلك فتح المسلمين لفرنسا الذي لم يكتمل بسبب شغف الفاتحين بالمغانم خلافا لأسلافهم العظام[١]، وسوف نوضح كيف نعالج تلك المسألة من الوجهة الشرعية السليمة وفق منطلقات الفكر الإسلامي وأهدافه العظمى وغايته؛ التي هي إثبات عظمة الله تعالى وسعة رحمته بالعالمين ولطفه وعنايته الدائمة بخلقه جميعا، فالله ربنا ورب الناس، والله سيدنا وخالق الناس، فله الخلق وله الأمر ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]، فسلم معظم الناس مثلنا في أنه تعالى الخالق، وتعاظم لديهم التسليم في أنه صاحب الأمر؛ إما لشبه عقلية أو لهوى متبع، ودورنا كمؤمنين أن ننبه عقولهم، لعلها تفهم عن خالقهم –سبحانه– ما لم نحسن إيصاله إليهم في أمره تعالى.

---

[١] غستاف لبون، حضارة العرب ترجمة عادل زعتر، الناشر مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م.، ص ٣١٤. يزعم غستاف لبون أن الفاتحين المسلمين من غير العرب أعنف وأقل تسامحا من العرب لكنه لم يستطع تفسير ذلك؛ فالعرب هذبهم الإسلام حبن تمكن من قلوبهم وهو ذاته هذب غير العرب لكن الفاتحين الذين دخلوا فرنسا كان معظمهم من المسلمين الجدد الذين لم يتمكن الإسلام من نفوسهم تمكن الصحابة رضوان عليهم، مما جعلهم فعلا ينشغلون بالغنائم وهو ما أدي في النهاية إلى هزيمتهم وتوقف الفتح الإسلامي في أوروبا، وقد حدث شيء من هذا مع من هو أفضل منهم بل أفضل جيل من المسلمين وهم الصحابة الكرام في غزوة أحد وكلهم عرب عندما خالف عدد قليل منهم هذا المفهوم وانشغلوا للحظات بالغنائم وكادت تحدث مصيبة أكبر من توقف الفتح في أوروبا وهي توقف الإسلام ذاته بل قتل النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لولا حفظ الله لهذا الدين حتى تكتمل عروته.

[٢] سورة الأعراف، آية ٥٤.

والغاية من إثبات أن الإسلام رحمة الله تعالى للعالمين أن نمهد لهم الطريق للوصول إلى العناية الإلهية والراحة النفسية، وليس المقصود من نشر الإسلام مجرد الانتصار للذات، فهذا الانتصار وطلبه لذاته سيكون وسيلة صد عن معرفة الله تعالى والجفاء عنه وعن رسالته ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن ثم التعايش ليس مقصده صناعة الانتصارات الحربية ولا غرضه التفوق في المناظرات الفكرية.

والتعايش لغةً: كما يقول ابن فارس[١]: يأتي من كلمة (عيش) فالعين والياء والشين أصل صحيح يدل على الحياة والبقاء، " والعيش والحياة والمعيشة اسم لما يُعاش به وكل شيء يُعاش به أو فيه فهو مَعَاش" كما يقول الخليل بن أحمد، وقال تعالى: [وجعلنا النهار معاشا][٢] والأرض معاش للخلق أي وسيلة للتكون فيها معيشة الناس وطرق اكتساب حياتهم.

أما كلمة تعايش نفسها فهي مصدر، ويأتي التعايش في اللغة بمعنى: العيش على الأُلفة والمودة، وتعايش النّاس: إذا وُجِدوا في المكان والزّمان نفسه، والتعايش أيضاً: مُجْتَمع تتعدد طوائفه، ويَعِيشون فيما بينهم بانسجام وثقة وَوِئَام على الرَّغْم من أنهم مختلفون، فهم مختلفون من حيث المذاهب أو الأديان أو الفئات.

والتّعَايش السِّلْمِي يعني: وجود بيئة يسودها فهم الآخر في طيات المجتمع الواحد بَعِيدا عن الحروب أو العنف والإكراه[٣]، ومن ثم يحسن التقارب والتعارف ويزداد الود والتعاون فيواسي بعضهم بعضا ويهنئ بعضهم بعضا وتنشأ علاقة من الرحم والرحمة والود والسكينة تحف المجتمع كله.

---

[١] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق العلامة: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج٤، ص ١٩٤.

[٢] سورة النبأ، آية ١١.

[٣] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ج٦، ص٣٢١.

فمصطلح (التعايش) مدلوله اللغوي يعني الحياة المشتركة في المعيشة وقد فسر ابن كثير" الآية السابقة [وجعلنا النهار معاشا] أي: جعلناه مشرقا مُنيرًا مضيئًا، ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات، وغير ذلك"[١]، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢]، والمعيشة هي مجموع الأرزاق المقسومة في هذه الدنيا لكل الأحياء، ومن ذلك ما يحتاج فيه بعضهم إلى بعض لتعمر الأرض. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[٤].

أما التعايش اصطلاحاً: فيكثر تعريفاته في كثير من الأبحاث الاجتماعية بصفة خاصة ومنها قول بعضهم أنه: (اجتماع مجموعة من الناس في مكانٍ معين تربطهم وسائل العيش من المطعم والمشرب وأساسيات الحياة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى، يُعرف كل منهما بحق الآخر دون اندماج وانصهار)[٥]، لكن الفكر الإسلامي يطلق له إطلاقات أكثر من تبادل المأكولات والمزروعات والصناعات، وذلك حسب دورانهم مع فلسفة الشريعة ذاتها التي تراعي مصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي "عدل كلهَا، وَرَحْمَة كلهَا، ومصالح كلهَا، وَحِكْمَة كلهَا، فَكل مَسْأَلَة خرجت عَن الْعدْل إِلَى الْجور، وَعَن الرَّحْمَة إِلَى ضدها، وَعَن الْمصلحَة إِلَى الْمفْسدَة، وَعَن الْحِكْمَة إِلَى الْعَبَث

---

[١] – ابن كثير تفسير القرآن العظيم، ج٨ص ٣٠٣٠.

[٢] سورة الزخرف، آية ٢٣.

[٣] سورة الأعراف، آية ١٠.

[٤] سورة الحجر، آية ٢٠.

[٥] "الكبيسي، صبحي أفندي، عبد الله حسن الحديثي، "الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي، مجلة مداد الآداب، العدد ٣، صفحة ٣٢٤.

فليستْ من الشَّرِيعَة"[١] ومن هذا الباب ينظر لمسألة التعايش في ضوء شريعة رحيمة وحانية على المسلمين وغير المسلمين.

وكان أول ما ظهر مصطلح التعايش السلمي في العصر الحديث وبشكل رسمي في نص اتفاقية بانش شيلا بين الصين والهند عام ١٩٢٢م حيث كان النظام الصيني اشتراكيا والنظام الهندي رأسماليا ويقال أول من استخدم مصطلح التعايش هو الرئيس السوفيتي خروتشوف[٢]

ومن المصطلحات المرادفة للتعايش المواطنة وهو مصطلح يستخدمه الغربيون منذ الدولة القومية التي ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر خاصة بعد ظهور مقال المفكر الفرنسي ارنست رينان(Ernest Renan) المشهور وعنوان مقاله هو Qu'est ce qu'une nation?: "ما هي الأمة؟"[٣]، وصارت مسألة التعايش تدور في إطار المواطنة بغرض جر نفع على التعايش نفسه، ليتحول من مجرد تعايش شكلي إلى مشاركة فعالة في العيش ومتطلبات الحياة، ونحن بلا شك لا نرفض مثل هذا النفع، لكن ما نتخوفه هو أن تكون المواطنة بديلا عن العقائد والشرائع، فإن لم تحارب المواطنة عقائد الشعوب ولم تلغ شرائعهم، فلا مانع من نفع تجره تلك المواطنة، بل وكذلك المساكنة التي يسميها بعض الدول بالإقامة، ولا يجب أن تقف دلالة مصطلح الإقامة

---

[١] ابن القيم، شمس الدين، إعلام الموقعين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ج٣، ص ١٤،١٥.

[٢] التعايش السلمي من منظور إسلامي، مرجع سابق، انظر ص ١٨٥.

[٣] المقال الشهير للمفكر والمؤرخ الفرنسي ارنست رينان، ما هي الأمة؟ **(Qu'est ce qu'une nation ?)** هو الذي فتح الطريق لمفاهيم الأمة القومية على أساس لغوي في مقابل مفهوم المفكرين والفلاسفة الألمان الذي كانوا يعدون الأمة هي الأرض وقد تعرضت في رسالتي للدكتوراه لهذا الموضوع بالتفصيل انظر:

Nassar Mahmoud La pensée politique en rapport avec la religion chez Ernest Renan et Muhammad ʿAbduh : étude comparative, thèse du doctorat, Uni. Lyon3, 2004.

عند عد المقيم مجرد زائر أو عابر سبيل[١]، ويمكن أن ندشن بدلا منه مصطلح المساكنة أو نقبل المصطلح ونضع له تعريفا جديدا يختلف عن مجرد العبور، خاصة لمن تطول إقامته بتلك الدول، فنعطي لمن توفرت فيه شروطه حقوقا أكثر اتساقا مع المواطنة والمشاركة الاجتماعية.

وكثير من الناس يجعل هناك معاداة أو مقابلة بين مصطلح تعايش المختلفين وبين مسألة الولاء والبراء للمؤتلفين من ذات المجتمع، كأن هذين الصنفين ضدان متقابلان، وهو ليس كذلك كما سنشرح تفصيليا في طيات هذا البحث، لكن لابد أن ننوه هنا في هذا التمهيد لشي من هذا لنبين سبب الخلط ونتيجته الخطيرة مسبقا.

حيث إن التعايش يمكن أن يتم في ضوء الولاء لله ورسوله والبراء ممن يبرأ منهما، فالولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد، وسمي الولي وليا من موالاته للطاعات ومتابعته لها والولي القريب فيقال: هذا يلي هذا أي يقرب منه[٢]، فقد يتولى الإنسان مواطنه

---

[١] ليس ضروريا أن يعطى الإنسان الجنسية لكي ينفع وينتفع ببلد أقام فيها فترة معقولة، لكن منحه الإقامة بشكل لائق يعزز من دوره في هذا البلد، وذلك لأن إقامة العامل لمجرد أداء الوظيفة دون أن يكون له إسهام في نفعها سيصبح يقينا عبء على هذا البلد، لكن المقيمين بامتيازات المواطنة أو المساكنة سوف يعملون جزءا من خططهم ومشروعاتهم التي تجر نفعا على البلد الذي يقيمون فيه، ثم يصبح لهم دور فاعل في خدمة المجتمع والإفادة منه، لأنهم بلا شك سيحبون البلاد التي أقاموا فيها واستفادوا منها، وكنت كأحد أهم الداعين إلى ذلك مدة إقامتي في فرنسا أو في المملكة العربية السعودية، فمازالت عاطفتي بمن عشت معهم من الفرنسين مقدرة جدا (مسلمين وغير مسلمين) ولهذا لم أرد أن أكون مجرد مقيم في فرنسا أو في المملكة، فشاركت بكل خبراتي في تأسيس برامج تعليمية في كلا البلدين أعتز بها في حياتي وأحتسب أجرها عند ربي، فليس من شيم المؤمن التنكر لأهل الفضل، أيا كانت عقيدتهم وهذا ليس من باب الولاء المحرم، إنما الولاء المحرم هو التنكر للدين والأمة من أجل جر منفعة أو إعانة كافر كونه كافرا على مؤمن كونه مؤمنا.

[٢] ابن تيمية، شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، طبعة مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا، ١٤٠٥ه، ص ٩.

في الوطن كما يتولاه في الدين ولكل ولاء دلالته وقواعده وأصوله وكذلك لكل براء.

فالولاء والبراء الاعتقادي يكون بالعزة بالانتماء إلى دينه والبراءة من كل عقيدة تخالفه، ولكن هذا لا يمس عقيدة المخالف باستهزاء أو تسفيه لاختياراته، فلا يَسب أحد عقيدة المخالف ولا يحقر اختيارات معتنقيها إلا أذا أظهر المخالف العداوة الصريحة وأعلن الحرب الظاهرة، والولاء والبراء من الأمور التي يجب بيانها بشكل مستقيم وواضح، خاصة أنها من أهم الأصول العقدية التي أستطاع الغلاة – من خلال تزييف بعض معانيها– زعزعة أمن كثير من البلاد، بل نشر الكراهية والطائفية وتشويه الصورة الحقيقية للإسلام خاصة وللأديان عامة، وصولا إلى استغلالها في إزكاء العداوة والبغضاء بين الشعب الواحد لمجرد اختلاف المعتقد والفكر والانتماء الفكري والثقافي.

وقد وهم بعضهم في فهم الولاء والبراء، حيث ظن أنه بمجرد تولي المؤمنين بعضهم بعضا يفعلون بغيرهم ما شاءوا، وأنه بمجرد البراء من غير المؤمنين ينتقصون حقوقهم، وهذا غلوٌ بلا أدنى شك، فعقيدة الولاء والبراء لا تعنى أبدا تمني السوء للمخالف، فضلا عن أذاه، فقد كان من سنته – صلى الله عليه وسلم – الدعاء للمخالف بالهداية سواء في وجوده كما فعل مع اليهود[١] أو في عدم وجود المخالف كما فعل مع دوس[٢]، فالولاء والبراء ليس قائم على عقيدة الحقد والطرد واللعن، بل قائم على المفاصلة والمفارقة فيما هو

---

[١] كان النبي صلى الله عليه ويسلم يدعو لليهود وهم عنده يعطسون فيقول لهم صلى الله عليه وسلم: (يهديكم الله وَيُصْلِحُ بَالَكُم) كما جاء في سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج ٥ص ٨٣ رقم الحديث (٢٧٣٩).

[٢] فقد جاء الطفيل بن عمرو إِلَى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: (إن دوسًا قد عصت وأبت، فادع لله عليهم، فقال: اللهم اهدِ دوسًا) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، انظر البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق، د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ط٣، ١٤٠٧ه، برقم (٢٧٧٩)

ضروري، مع تمني هداية المخالف والتودد له بكل وسيلة طيبة زكية، تحقق التقارب المثمر وتجني ثمرة التعاون الفعال مشبوب بأمل هدايته.

وعندما نفتش عن تلازم التعايش السلمي وعدم معارضته الولاء والبراء في طيات الفكر الإسلامي سنجد عشرات، بل مئات من النصوص؛ منها ما يدور حول تفسير القرآن الكريم أو أحكام التشريع أو في معاملات المسلمين بغيرهم، فمن التفسير مثلا ما جاء في تفسير الطبري –رحمه الله– لقوله تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[١]، حيث بين أنه لا يجب اتخاذ الكفار ظهيراً وأنصاراً يواليهم المؤمنون على حساب عقيدتهم ودينهم فيدلونهم على عورات إخوانهم المؤمنين، فهذا ملمح جيد ومتين، حيث الاختلاف بين المسلمين واقع لا محالة، لكن نقل هذا الخلاف أو اتخاذه ذريعة لنصرة غيرهم لا يحل بحال، وهذا هو الذي برأ الله منه، لأنه يُعد خروجا من عقد المؤمنين ودخولا في عقد الكفار[٢] وهذا ما يفهمه المفكر المسلم من تفسير العلامة الطبري بمنتهي الوضوح.

والفكر الإنساني ورموزه المعاصرون كجون ستورات مل (ت ١٨٧٣م) ظلوا يدافعون عن الحرية بين الآراء من أجل تحقيق المصلحة للإنسانية؛ لأن مبدأ الحرية في زعمهم "يجعل الأفكار القوية تنتصر"[٣]، وهذا الذي دافع عنه الغربيون على أنه حرية للأفراد هو ذاته الذي ندافع عنه لكن نجعله لحرية التكتلات أو المجموعات سواء كانت دينية أو ثقافية أو لغوية، فلهم الحق في أن يتولى بعضهم بعضا دون إلغاء حرية الطوائف والمذاهب التي تتعايش معهم، وهذا فهمنا للولاء والبراء من حيث هو، وأيضا يجب أن تمنح التجمعات والمجموعات غير المسلحة حرية في أن يتولى بعضهم بعضا سلميا

---

[١] سورة آل عمران، آية ٢٨.

[٢] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ت. أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ج١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ج٦، ص ٣١٣.

[٣] نظام بركات وآخرون، مبادئ علم السياسة، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط٣، الرياض، ١٩٨٩م، ص ١١٦.

كما تُعطى الحرية للأفراد من حيث هم أفراد، فمنح كذلك للتجمعات والمجموعات بشروط تحقيق الأمن وعدم العبث بمقدرات الشعوب؛ لأن هذا أمر ضروري ويحل لنا معضلات دولية مع سرعة تغيرات المجتمعات، فلم يعد مجتمعا صافيا لعرق أو لون أو دين أو فكر؛ ففي أي دولة اليوم في العالم سنجد هناك مجموعات منتمية بعضها مع بعض وفي ذات الوقت تريد عيشا كريما مع المجتمعات الأصلية التي منحها الزمن الاستقرار منذ أجيال، فكيف ندمج هذه المجتمعات؟ هل نقصرهم على فكرة واحدة؟ وهل نلزمهم بدين واحد؟ وأي دين هذا الذي يستوعب هذه التناقضات من غير معالجة زمنية طويلة تأتي بالحوار بين أتباعه قبل حوارهم مع أعدائه؟ فالحوار إذا هو هذا أحد بنود هذا البحث كما سيأتي لاحقا.

ولا يستطيع كائن من كان أن يلغي مودة وجدت بسبب الرحم أو لحاجة التعايش ذاته، ولم يكفر المسلمون في كل تاريخهم أحدا بسبب مودته لقبيلته أو عائلته أو جيرانه، بل جعلها الإسلام صلة كما قال لسيدتنا أسماء ذات النطاقين (صلي أمك) فلم يقل لها هذا ولاء للكافرة أمك، بل حتى لو غفل عن المسألة أمي جاهل بعلوم الإسلام، فبالغ في الود مع المخالف قولا أو عملا لم يُكفر، وسوف نسرد كثير من هذا في طيات البحث، كما حدث من الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة–رضي الله عنه– لما كاتب أهل مكة ببعض أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وما حدث من سعد بن عبادة– رضي الله عنه– لما انتصر لابن سلول في قصة الإفك المشهورة، فبرأته أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها وقالت: "احتملته الحَمِيَّة"[١]، وهكذا بحثوا لمثل هذا الخطأ عن عذر بعيدا من التكفير وسوف نسرد تفاصيل من هذا في المبحث الأخير من هذا البحث.

[١] أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب المغازي / باب حديث الإفك / برقم (٣٩١٠)

المبحث الأول

أسس التعايش السلمي وفق فهم المفكرين المسلمين

كما بينا في التمهيد من هذا البحث أن تعريف التعايش يقصد به التعاون والتقارب والتكامل والتساكن والتلاقي والتجانس وغير ذلك في إطار الدين أو في إطار الحضارة أو في إطار السياسة[١]، ويمكن إضافة التعايش في إطار اختلاف اللغة والثقافة، حيث نجد كثير من الدول لا تقبل تعايشا ثقافيا قائما على أسس لغوية، وإن كان استخدام أي إطار لزعزعة أمن أي بلد هو مرفوض، إنما المقصود بالتعايش هو السماح، لأبناء اللغة أن يورثوها لأبنائهم لتحمل سماتهم الثقافية وعقيدتهم الدينية دون التعالي بها على الآخرين ولا يكون مقصدهم تحقير لغة غيرهم، فهم يتعلمونها مع لغتهم سواء بسواء.

ومن هنا يعطي مفهوم التعايش تصورا للعلاقة بين طرفين نشأ بينهما حالة من الإسناد والاعتماد والاستفادة والإفادة وأي علاقة تفاعلية بين طرفين[٢]، وهذه العلاقة لابد أن تقوم على أسس واضحة حتى لا تصبح بلا ضابط أو رابط، أو يستغلها المتطرفون –من كل ملة وكل عرق وكل فلسفة– في تهديد أمن غيرهم وسرقة أقوات الشعوب المحبة للخير والداعية بفطرتها إلى السلام الاجتماعي، وهذا ما كان موجودا بالفعل عبر العصور المختلفة، فقد اتهم الغرب في العصور الوسطى اليهود بأنهم يضعون السم في ينابيع المياه[٣] و يا للعجب من كثرة هذه الترهات في التاريخ وما تسببت فيه من حرمان أمم من أن تحيا عزيزة!، وكذلك ما حدث ضد جماعة (الكاجو cagots) في غرب فرنسا وشمال أسبانيا الذين ظلوا مضطهدين عنصريا

---

[١] التعايش السلمي من منظور إسلامي د. عبد ربه عبد القادر حسن العنزي، مرجع سابق، ص ١٨٥.

[٢] التعايش السلمي من منظور إسلامي، مرجع سابق ص ١٨٥.

[٣] كريستيان، دولاكماني، الفلسفة السياسية اليوم، ترجمة نبيل سعد، طبعة عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٦٤.

حتى أصدر الملك لويس الرابع عشر قانون لحمايتهم وذلك عام ١٦٨٣م[١]، ثم توالت التشريعات الغربية بعد ذلك في سن القوانين المناهضة للعنصرية ونحن نثمن هذه القوانين ونحترم جهد من دشنها وإن قصرت أحيانا عن تمام المراد.

ومن هنا نستطيع الجزم بأن مصطلح التعايش ظهر كرد فعل في الأساس على عدم انضباط مفهوم التعايش، وليس لإيجاد التعايش ذاته، حيث كان الناس متعايشون منذ قرون، فالصينيون كانوا متعايشون بعقائدهم المختلفة مع كثرتها منذ آلاف السنين؛ سواء مع أنفسهم أو مع الهنود جيرانهم، وبطبيعة الحال يضطرب هذا التعايش بين الفينة والأخرى بحروب تنشأ بسب مطمع أو مطمح، ثم يأتي العقلاء من كل أمة يجنبون الناس الخراب بفكر معتدل، أو بإحياء نوع من التعايش سواء قائم على أسس صحيحة أو قائم على توازن القوى، ونحن في الحقيقة ندعو إلى تعايش قائم على أسس حقيقية وليس مجرد تعايش قائم على الخوف والتهديد؛ لأننا نزعم أن التعايش القائم على القهر يحرم المجتمع من مواهب المقهورين ومن خبراتهم بل ومن إخلاص جهودهم.

ومن هنا فمن أجل إيجاد تعايش صحيح لابد من مجموعة مفاهيم فكرية وسياسية يتفق عليها كأسس لهذا التعايش، ثم تصبح مقبولة في العقل الجمعي ومحصنة في الوجدان العام للأمم التي يتعايش بعضها بعضا، وقولنا هنا الأمم نعنيه تماما وبدقة؛ لأن التعايش داخل الأمة الواحدة أمره سهل هين، لما بينها من ائتلاف مهما يكن من اختلاف في بعض الجوانب، لكن الأمم التي يسكن بعضها مع بعض مع اختلاف العقيدة أو اللغة أو الجنس، أو حتى الأمم التي يجاور بعضها بعضا تحتاج قطعا إلى أن تدرك هذه القواعد وتستلطفها، بل لن يكتمل التعايش حتى تصير تلك المبادئ محبوبة لديها، مغروزة في الضمير ومعبر عنها بالمشاعر ومغنى بها في الأشعار.

مقدمة الأسس

وأهم أساس وجذر في هذه القواعد بل هو أساسها المتين: الاعتقاد الجازم أن الناس كلهم سواسية "الناسُ كلُّهُمْ بَنُو آدمَ وآدَمُ خُلِقَ من تُرَابٍ"[١]، فأي اعتقاد

[١] المرجع السابق ص ٦٦، ٦٧.

خلاف ذلك سوف يورث الكوارث من التباين والتمايز على أساس غير صحيح، ثم اليقين بأن الاختلاف سنة الحياة وسنة الأحياء؛ بشر وغيرهم، ثم الإيمان بحق كل أمة مختلفة عن الأخرى أن تلتحف بموروثاتها ومعتقداتها على الطريقة التي ترتضيها بشرط واحد لا ثان له، وهو ألا تضر بعقائد وموروثات الآخرين، وإن صعب هذا، فيمكن العمل معا في مساحة عدم الضرر، بحيث نجد حلولا يقبلها القائمون على المذهبين المتضررين بعضهم من بعض.

لهذا جعل الإسلام من مقاصده العليا حفظ النفس ولكي تحفظ النفس الإنسانية جعل المساواة من أهم أسس التعايش بين المسلمين وغيرهم، لهذا قَبِل المسلمون من حيث المبدأ أن البشر سواسية وهذا ما حملته نصوص القرآن والسنة جليا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢]، وكذلك ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم بأن الناس سواسية[٣]، وغير ذلك من النصوص التي تبرهن على هذه القاعدة الأصيلة في الإسلام، ولما كان بحثنا هذا يبحث في الأساس موقف الفكر الإسلامي ونصوع موقفه من التعايش كان لزاما علينا أن نبين هذا الموقف بجلاء وفق أسس واضحة نجملها كالتالي:

أولا: التعايش يقوم على الرحمة بين المتعايشين

تقوم رسالة الإسلام وتدعي دعوة عريضة، وربما يدعيها غير المسلمين، فلو صحت تلك الدعوى، فكل ما يأتي من الرسالة التي تدعيها لابد أن يصبح خيرا للبشرية، بل يصبح مفيدا في كل النواحي وليس في التعايش السلمي فقط،

---

[١] "هذا النص من حديث طويل أخرجه الإمام الترمذي، سنن الترمذي حديث برقم: ٣٩٥٥.

[٢] سورة الحجرات، آية ١٣.

[٣] "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى" والحديث أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) انظر، البيهقي أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م، حديث برقم ٥١٣٧.

وإن كانت هذه الدعوى باطلة عمليا وواقعيا يصبح أعداء تلك الدعوى وخاصة أعداء الإسلام غير مضطرين لتصديق رسالة الإسلام ولا ملتزمين في احترام مبادئه الباقية، وذلك كأس اتفاق أو عقد أمان، بل لا تستحق أي تعاطف فكري أو ثقافي، خاصة أن القرآن الكريم هو الذي حدد هذه الدعوى وجعلها غاية هذه الرسالة وغاية المرسل صلى الله عليه وسلم للبشرية وهو أنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين [وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين][١]، فلو كان من نصوص الإسلام أو من ممارسة المسلمين خلافا لتلك الغاية فلا جدوى من إثبات مبادئ كبرى أخرى للإسلام أو أغراض عظمى يمكن أن تلتحف حولها الإنسانية وتتعايش.

ومن هنا كان لابد في كل طيات هذا البحث أن ننبه على هذا الأمر، بل نجعله قاعدة القواعد في هذه النقطة، يقول العلامة أبو الحسن الندوي تعليقا على هذا المبدأ "إن سعة هذا الإعلان وإطاره الكبير، ومساحته بحساب الزمان والمكان تجعلان هذا الإعلان خارقا للعادة"[٢]، وهذا يعني أن الإسلام أعطى فرصة للبشرية بكل طوائفها أن تختبر مجرياته عمليا وتنظر في مقتضيات أحكامه، فلو اتسقت مع تلك الغاية إذا هو دين عظيم مفيد، سواء لمن آمن أو لمن لم يؤمن، وهذا في الحقيقة ما شد عقلاء البشرية منذ هذا النداء إلى اليوم "يبحثون في مدى صدق هذا الإعلان"[٣]، ومدى صدق ما يأتي به من مبادئ ولما لم نجد أي مماحكة أو مجادلة في رحمة المسلمين صح بلا خلاف إذا هذا المبدأ، فلم نجد من عقلاء البشر وأعداء الإسلام طيلة القرون الماضية ما

---

[١] سورة الأنبياء، آية ١٠٧، والعجيب أن تكون هذه الآية في سورة الأنبياء، فلربما أراد الحق تعالى أن يبين الغاية العظمى من كل الأنبياء هي الرحمة بالعالمين، ومن ثم تستمر الرحمة في تدفقها باليمن والبركات على البشرية بتمام الرسالة وكمالها ومن ثم تتجلى في أعلى صورها مع هذا النبي صلى الله عليه وسلم.

[٢] الندوي، أبو الحسن، السيرة النبوية، دار القلم دمشق، ١٤٢٠هـ، ص ٤٥٩.

[٣] المرجع السابق، ص ٤٦٠.

ينقض هذه الدعوى أو يأتي بما يضادها من نصوص الإسلام الصحيحة، فإذا قد ثبت أنه رحمة للعالمين وثبت كذلك ممارسة الرحمة لحامليه، باعتراف كثير من المؤرخين الذين سنذكر بعضا منهم.

فالجانب العملي من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجسد صورا من فهم التعايش على هذا الأساس المتسق مع قاعدة (رحمة للعالمين)، فمن أوضح صور التعايش مع المخالف ما ظهر في لقاء النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد نصارى نجران، وكيف أحسن إليهم صلى الله عليه وسلم بل من إحسانه لهم عدد الباحثون كثيرا من العبر التي توضح أسس التعايش من هذه المعاملة الكريمة لهم، فيُنقل عن الزمخشري والرافعي والنووي وغيرهم من أئمة العلم في الإسلام أنه يجوز للكفار دخول مساجد المسلمين غير الحرم، وذلك لغرض التعليم أو الصلح وغيرها من الأمور المعتبرة في المعاش[١] وهذا إن دل على شيء يدل على أنهم يعتبرون نفوس غيرهم ولا يحاولون إيذائهم نفسيا بمنعهم من دخول مكان عبادتهم وأخص خصوصياتهم رحمة ولطفا.

ثانيا: الناس كلهم خلقوا من أصل واحد.

يقر الإسلام بأن الناس كلهم جنس واحد، وقد بينا في مقدمة هذا المبحث ذلك، ومن حسن الطالع أن الناس متفقون على وحدة الجنس البشري، ولم نجد إلا شذرات قليلة من نعرات ضعيفة ومذاهب شاحبة تجعل من قوم أعلى من قوم آخرين في طبيعة الخلقة، لكنها لم تنفك عن صيغة الأصل للبشرية واحد، فنعرة الربانيون من اليهود بأنهم أفضل الأمم ونظرة بعضهم "إلى من ليس من ملتهم كما ينظر إلى بعض الحيوانات التي لا عقل لها"[٢] ومع تطرف هذه

---

[١] البوطي، د. محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان ط١١، ١٩٩١م، ص، ٣١٦، ٣٢٧.

[٢] السموأل بن يحي المغربي، إفحام اليهود، تقديم وتحقيق د. محمد عبد الله، الشرقاوي، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ، ص ١٧٤، وانظر أيضا ابن القيم، شمس الدين، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان، تحقيق، خالد العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٩م، ط٣، ج٢، ص ٣٨٨،

الفرقة من اليهود وتعصبهم وعدم احتمال جميع جيرانهم لهم[١]، لم نجد من اليهود من يقول بأن طبيعة الدم والجسم اليهودي مختلفة في تركيبها البيولوجي ولا الوظيفي عن بقية البشر، إنما هي نعرة لِزامها الكبر، فالتوراة لم تنص عن شيء من هذا أصلا، إنما هذه تفسير وفهم بعض متطرفي اليهود، ثم النعرة التي أوجدها غلاة الشيعة في الأئمة وأن الله خلط نفسه بالأئمة[٢] وكذلك فهم بعض النصارى لطبيعة عيسى الجسدية، الذي لم يقتصر على تجلى الله في خلقه مجازا معنويا، وما في الأديان الشرقية من فكرة تناسخ الأرواح وتداخل الأساطير مع الحقائق، وهذا كل ما وصلنا من إشارات يمكن فهم بعضها على أن الناس بعضهم من سلالة وبعضهم من سلالة أخرى، وهو كما بينا لا يُعد فكرا مستقيما لا عند اليهود ولا عند النصارى ولا عند الشيعة، إنما شذوذ في الفكر وجنوح نحو المغالاة لتعظيم بعض البشر فوق ما يحتمل تركيبهم البشري، ومع كل ذلك فما دامت هذه العقائد لا تتخذ الحرب في فرض عقائدها، فلا مانع من التعايش مع هذا الفهم رغم انحرافه الشديد عن مقتضيات أبسط العقول، وذلك من باب التراحم بين الناس وغض الطرف عما تستوحش العقول وتنفر منه النفوس وليس من باب تساوى الحق بالباطل.

ثالثا: الإقرار بحرية الاختيار وليس بصحة المختار

فمع إيماننا بمقتضى الحرية والعدل في أن نتعايش مع هذه الأفكار غير المعقولة، لكن هذا التعايش لا يُلزمنا بأنا نقر بصحة هذه الخرافات، أو التماهي

---

[١] غوستاف لبون، اليهود في تاريخ الحضارة الأولى، ترجمة عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة ٢٠٠٩، ص٢٠ وانظر أيضا ذات الكتاب ص ٤٢ و٥٧، ومع ذلك لم يرد في أي نص توراتي بأن اليهود من طبيعة مختلفة عن إخوتهم من البشر إلا في تعظيم الله لهم معنويا وليس بخلقهم من طينة مختلفة، وغلاة الشيعة فقط في تاريخ البشرية الذين يعتقدون أن أئمتهم ليس من الطبيعة البشرية في شيء، انظر: إلهي ظهير، إحسان، الشيعة والسنة، الناشر إدارة ترجمان السنة، ط٥، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، ص٦٥، ينقل عن الكافي للكليني كتاب الحجة ج١، ص ٢٥٨ طبعة طهران.

[٢] الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ت. على أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، ج١، ص ٤٣٥.

في قبولها بأي شكل يؤدى إلى تسفيه الحق وتهميش العقل، إنما من باب قول الله تعالى: [لكم دينكم ولي دين][١]، فاعبدوا ما شئتم، لكن لا نقر بعقيدة لا تثبت أمام اختبار عقلي أو تفكير منطقي، بل نحترم ونقر اختيار معتنقيها لها، وهذا هو قانون التعايش الحقيقي، وهو الإقرار بحرية الاختيار وليس بصحة المختار.

وهذا ما دعا كثير من الأمم إلى تغيير عقيدتها مع التعايش السلمي الآمن لكن باختيارها الحر وليس بالإكراه، بل لم نجد أمة تغير تاريخها طوعا إلا مع المسلمين، فلم يستطع فاتح عبر التاريخ الطويل أن يغير ثقافة المصرين مثلا، مع أن مصر غزاها الفرس والروم وغيرهم لكن "لم يوفَّق فاتحوها من الفرس والأغارقة والرومان أن يقلبوا الحضارة الفرعونية القديمة فيها وأن يقيموا حضارتهم مقامها"[٢]، وهذا حدث فقط مع المسلمين الذين غيرت مصر وجهها حبا فيهم وإيمانا بعدلهم، ولم يُكسر تمثال مصري واحد أثناء الفتح الإسلامي لمصر، ولم يكره فلاح مصري على الإسلام، إنما قبل المصريون الإسلام طوعا وحبا، بل أضحت مصر وشعبها مطية الإسلام ورمزه، لكن بحرية وقناعة بالإسلام وبالتواصل والتعايش الفطري وليس بالاستسلام القهري، فلم يستطع مؤرخ واحد أن يذكر حادثة واحدة غير فيها مصري دينه خوفا من ظلم المسلمين، خلافا لقصص الرومان مع المصرين، وما حدث من إسلام المصريين هو نفسه ما حدث من البربر ومن الفرس ومن الترك، بل الأغرب هو إسلام المغول[٣] الذين انتصروا على المسلمين ثم أسلموا طواعية وهو أكبر شاهد على قوة حجة الإسلام بذاته لا بقوة أتباعه.

---

[١] سورة الكافرون، آية، ٦.

[٢] غستاف لبون، حضارة العرب، ص ٦٣٠.

[٣] رصد أحد الباحثين وهو د. رجب محمد عبد الحليم محاولات غير المسلمين في إقناع المغول بدينهم فلم ينجحوا في حين اختار المغول طوعا الإسلام، انظر عبد الحليم د. رجب محمد، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٦٢ وما بعدها خاصة ص ٨١.

رابعا: احترام المخالف مع عدم اعتقاد صحة معتقده

وبناء على الإقرار بحرية الاختيار لابد من احترام اختيار المخالف والذي من غيره لا يمكن أن يوجد تعايشا سليما، ولما كان التعايش لا مفر منه جاءت آيات القرآن تؤكد منذ البداية أن البشر مستوون في الخلقة مختلفون في الطباع والأفكار والآراء، فالاختلاف في هذا المنحى بالذات فطرى أيضا، ومن ثم فضمير المفكر المسلم في راحة ورضى، لكونه يعلم يقينا أنه لو شاء الله لجعل الناس كلهم على دين واحد وهو الإسلام، بل أي مسلم لا يشك لحظة في أن الإسلام هو الدين الحق ومع ذلك يقبل بأهم ما جاء في نصوصه وهو قوله تعالى، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾[١]، وكون أن إرادة الجليل شاءت –يصبح هذا التصريح من الجليل تعالى بالاختلاف موجب للتعايش السلمي بين من آمن وبين من لم يؤمن.

وهنا سيعترض معترض يقول: لكن إلهك الذي تجله جعل الدين عنده الإسلام وأبلغكم صراحة بذلك[٢]، أقول وهذا الذي يفهمه المستعجل بأنه وسيلة لعدم التعايش، حيث ظن أن الاستعلاء بالإسلام عن غيره سببا لعدم التعايش، هو –في رأينا–ذاته مناط حكمي في أن الله أوجب علينا التعايش، فسيقولون كيف؟ أجيب بأن رحمة الله في منح عبادة حرية اختيار دينهم هي ذاتها التي مكنتهم من الاستبقاء على دياناتهم، فمن وسائل حفظ ديانات الناس وعقائدهم أنهم يوقنون بصحتها، وإلا ما كان هناك خلاف حقيقي بين العقائد، بل يصبح الخلاف خلافا لفظيا، إذ يصبح كل مؤمن شاكا في صحة معتقده، ومن ثم لا يدعي أحد صحة معتقده يقينا.

أما وقد آمن المسلم بأنه دينه هو فقط الصحيح تنزيلا وحكما، ثم مع ذلك لا يُلزم من لا يعتقد صحة الإسلام بالإسلام، فهذا رأس التعايش مع الاختلاف

---

[١] سورة هود، آية ١١٨.

[٢] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج١٢، ص ٣٨٥، حيث يذهب الطبري هنا إلى الدين الواحد الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل، وهذا ما يعتقد به كل مسلم حين يسمع قول الله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام).

الحقيقي وليس اللفظي، بل هذا واحد من أهم أسس التعايش وهي احترام اختيار المخالف مع عدم اعتقاد صحة معتقده، خلافا لدعاة الدين الإبراهيمي أو وحدة الأديان، فالتعايش "يتميز بكسر الحواجز الناجمة عن الاختلافات؛ لأن التعايش لا يقتضي المحبة ولا الولاء ولا الاعتراف بدين المخالف"[١]، وهذا أس لا يمكن بناء تعايش حقيقي من دونه ولهذا نقف في خندق مخالف للفكر الميكافيللي الذي نظر فقط إلى الأمن من جانب واحد وهو الأمن المادي وجعل مصلحة الدولة فوق مصلحة الأفراد دون النظر إلى الأخلاق أو الدين[٢]، ولم ينظر أبدا لفلسفة التعايش التي تعمل على تبادل المنافع بين أطياف المجتمع المختلفين في الدين والأخلاق، ولو نظر إلى هذا المبدأ لوجد صيغة أقل عنفا من مفهومه الدكتاتوري المطلق لمفهوم الدولة، فالمفهوم الحضاري للدولة في الإسلام أنضج بمراحل من مفهوم ميكافيللي.

فالدولة في الإسلام حاملة هم المواطنين وباحثة عن علاج لأمراضهم ولاختلافاتهم ولا تستخدم القوة مع المجتمع داخلها إلا مع جزء لا ينفع معه غير القوة وذلك عندما يخترم حريات الآخرين ويسلب حقوقهم، أما دولة ميكافيللي في نفسها تخترم حريات الشعوب وتسلبهم أبسط حقوقهم في اختيار عقائدهم وأخلاقهم، فتلزمهم بعقيدته التي هو نفسه شاك في صحتها!!

خامسا: التعايش ليس مجرد تعاون بل تعاضض وتلاحم

فلا نتفق مع من يقف بالتعايش عند مفهوم التعاون المبني وفق الإطار الثقافي المنظم للدول، وكأنه في الحقيقة لا يدرك عمق التأثير والتأثر بين الشعوب، وهذا ما نخالف فيه الباحثين السابقين ولذا لم نسرد خلافنا مع وجهات نظر الدراسات السابقة مخافة أن يكون فهمنا قد قصر عن مرادهم، فاكتفينا هنا بنقد عام، حيث إن التعايش لا يعني العداوة والبغضاء بين المختلفين عقديا، فالتعايش –في رأي الباحث– حين لا يلغي التمايز الديني والحضاري واللغوي والثقافي، يفتح الأفاق لفهم الآخر وتبصر حاله؛ إما

---

[١] د. عبد ربه عبد القادر حسن العنزي، التعايش السلمي من منظور إسلامي، انظر ص ١٨٦.

[٢] د. نظام بركات وآخرون، مبادئ علم السياسة، ص ٩٦.

لمساعدته للخروج من الجمود الفكري والثقافي، وإما ليحسن فهم معتقده ويستفيد منه ويفيد به من حوله وهذا الغرض هو من أغراض هذا البحث الملحة.

فمن التعاون ألا يُكلف الناس فوق طاقتهم، فيما هو واجب عليهم، فمثلا لما فرض الإسلام على أهل الذمة الجزية كانت مثل الضريبة التي تفرضها الدول حاليا، ولذات الغاية التي تفرضها الدول حاليا غالبا، حيث مقصدها حماية المجتمع من أي عدو وحفظ الأمن والأموال، ومع ذلك لم يكلف الإسلام الناس فوق طاقتهم، سمح لهم أن يدفعوا ما هو قليل زهيد لا يؤثر على معاشهم "وإنما يراد بهذا كله الرفق بأهل الذمة، وأن لا يباع عليهم من متاعهم شَيْءٌ، ولكن يُؤْخَذ مِمَّا سَهُل عَلَيْهِم بِالْقيمة"[١] التي يستطيعون الأداء بها، بل يصل الأمر إلى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما تصله أموالا كثيرة، يخشي أن يكون المسلمون أخذوها بالسيف والقهر، فيقول: "إني أظنكم قد أهلكتم الناس؟ قالوا لا والله ما أخذنا إلا عفوا صفوا، فقال بلا سوط ولا نوط؟ قالوا نعم"[٢] فلو أي حاكم في أي زمان جاءه خراج من مستعمراته بلغة العصر لفرح بها وما نظر كيف ولما، لكن هذه خشية الله التي تملأ جوانح عمر وهذا دأب المسلمين حيث كانوا زمانا ومكانا.

والصحابي هشام ين حكيم بن حزام يمر بقوم يعذبون في دفع الجزية في فلسطين، فقال رضى الله عنه: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يقول إِنِ اللّهَ يُعَذِّب يَوْم الْقِيَامَة الّذِين يُعَذِّبُون النّاس فِي الدُّنْيا"[٣] ويتكرر الموقف في مكان أخر ومع صحابي أخر فينقل ذات الحديث: إن الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس[٤]، وما ذلك إلا لأنهم يأخذون من معين واحد وهو المعصوم صلى الله عليه وسلم، فلم يرق لأي صحابي يرى أخطاء بعض

---

[١] سلام، أبي عبيد القاسم، كتاب الأموال، تحقيق خليل محمد هراس، دار الفكر بيروت، د.ت، ص٥٦.

[٢] المرجع السابق، ص ٥٤.

[٣] المرجع السابق، ص ٥٣.

[٤] المرجع السابق ص ٥٣، والراوي هذه المرة عياض بن غنم والقوم هم النبط.

المسلمين فيجاملهم للولاء لهم، ويسكت عن الكفار لأنه يبرأ منهم، بل يخوف المسلم وليه وينذره عاقبة فعله، ويذكره بحق أخيه في الإنسانية من غير المسلمين الذين ولاهم الله أمرهم وسوف يحاسبهم عليهم وعلى حسن معاملتهم ولطف معايشتهم، حتى وإن برئ من دينه ومن معتقده، فهو يلتحم مع أخيه الإنسان الذي يعيش معه التحام تعاضض ويبرأ من فعل أخيه في الدين ويفارق فعله لأنه ليس فعلا عادلا وليس متسقا مع أوامر ربه ولا مع سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم وهما أساس الولاء فالولاء لما أمر الله في إخوانه من البشر أو فيمن صار له أخا في ذات الإله.

سادسا: الاختلاف وإن كان سنة كونية لكنه لا يوجب التوقف عن البحث عن الحق

فالاختلاف بين أطياف البشر لا يعني ركون المختلفين عن البحث أين الحق؟ شرط أن يكون البحث عن الحق في جو من الحرية وجو من الإنصاف وعدم التشنج، ومن هنا كانت الشرائع مختلفة، لكن بعضها أكمل من بعض، وبعضها أنسب من بعض زمانا ومكانا، فلابد للمختلفين من بذل المجهود في البحث عن الحق أين هو؟ ولو تُرك الأمر لعامة البشر لاقتربوا من الحق بقوة، لكن مجرمي البشر والمستفيدين من كل دين ونحلة لن يمنحوا الناس فرصة حقيقية لفهم بعضهم بعضا، بل داخل الدين ذاته يمنع الناس من أن يفهموا بعضهم بعضا، وأعجب ما قرأت في هذا العصر، أن مسلما يسأل في أحد أهم منصات التعليم هذا السؤال العجيب: "هل أحد من الأخوة يبين لنا كفر (محمد عبده)" أو قال "هل قال به أحد من طلبة العلم"[١] ، فالمسكين مشغول بتكفير إمام

[١] أرشيف ملتقي أهل الحديث أنظر الموقع والسؤال الغريب " كفر محمد عبده ... هل قال به أحد من طلبة العلم؟ الحقيقة أنني كلما قرأت لهذا الشخص ازداد عجبي منه. إذ أرى له المقولات الكفرية، لكنني لم أجد فيما أعلم طالب علم قال بكفره " فهذا السائل صاحب الهوى في تكفير مخالفيه يريد أحد يكفر الإمام ولم يحاول أن يقرأ له وأني لواثق أنه لو قرأ للإمام لزاد إيمانه وصحت عقيدة السائل شرط أن يتخلص من آفة الهوى انظر: https://al-maktaba.org/book/31616/16828

عظيم وسيد جليل من سادات المسلمين لما سمع من مقولات قد يكون الحق فيها مع الإمام وليس مع من نقده، لكن من حسن الحظ أن هذا وأمثاله لن يتبوؤوا مقاعد العلم.

والإسلام لا يجد مشاحة في ذكر صحة الأديان والرسل السابقين وإن صحح القرآن أغاليط أضافها الناس بهواهم وبين أن تصحيحها موجود في الرسالة الأخيرة من رب العباد، فقط على الناس النظر والفحص دون تغليب الهوى ودون تعصب، لكن الناس يتعصبون لما يظنونه رافع لهم في الدنيا، ومن هنا يُدخل عليهم الشيطان اتباع الهوى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١]، وهذا يدل على اتفاق المصدر واختلاف الوسيلة[٢]، يذهب العلامة ابن حزم- رحمه الله- إلى أن الاختلاف في الأساس ليس من عند الله، "ومعنى ذلك أنه تعالى لم يرض به، وإنما أراده تعالى إرادة كونٍ، كما أراد الكفر وسائر المعاصي"[٣] إرادة كون، وما ذهب إليه ابن حزم هو عين فهم التابعين الذين ذهبوا إلى أن الاختلاف في حد ذاته ليس من إرادة الرحمة الإلهية[٤]، بل من الإرادة الكونية.

---

[١] سورة المائدة، آية ٤٨.

[٢] يقول ابن كثير هنا يعد هذا" إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث اللّه به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد " انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢،١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م، ج ٣، ص ١٢٩.

[٣] ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي، الإحكام في أصول الأحكام، ت: أحمد محمد شاكر، الآفاق الجديدة، بيروت، ج٢، ص ٦٤.

[٤] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٣٦١.

وعلماء المسلمون يقرون بمسألة اختلاف الناس ولا يبنون على هذا الاختلاف سببا للمشاحنة في ذاته[١]، وهذا ما نصت عليه كتبهم قديما مثل تفسير الطبري[٢] أو في العصور المتأخرة كالعلامة الشوكاني[٣]، ومن هنا فلم يكلف المسلمون بهداية الناس، بل اقتصرت وظيفتهم الدعوية على البلاغ، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[٤]، فإذا كان البلاغ هو ما كلف به صاحب الرسالة فكيف بالتابع؟! ولذلك لا يشعر المسلم بحالة من الهوس لإلزام الناس بعقيدته، وهذا ما اعترف به الغربيون، وفي مقابل هذه الروح السمحة مع غير المسلمين تعامل الصليبيون مع المسلمين في أبشع صورة، ومن ذلك ما تم في الحملة الصليبية الأولى عام ٤٩٢هـ، التي قتل فيها الصليبيون في بيت المقدس داخل المسجدين (مسجد الصخرة ومسجد عمر رضى الله عنه) سبعين ألف مسلم عدا من رموه من عالي البنايات بشهادة مؤرخين صليبيين ونصارى شرقيين بل كانوا ينتزعون الرضيع من حضن أمه ويسحقون رأسه بضربه بالأعمدة والجدران حتى يهلك، وفي المقابل سجل تاريخهم أنه بعد انتصار المسلمين عام ٥٨٣م عفا عنهم صلاح الدين ولم يأخذهم بهذه الجريرة[٥]، فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على سماحة المسلمين في كل زمان رغم ما يقع عليهم من ظلم.

---

[١] الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الاعتصام، تحقيق سليم الهلالي، دار بن عفان، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٢هـ، ١٩٢م، ج٢، ص ٦٧٥.

[٢] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م، ج١٠، ص ١٦١.

[٣] الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الناشر دار الفكر، بيروت، ج٣، ص٩٠،

[٤] سورة البقرة، آية ٢٧٢.

[٥] المصلح، عبد الله بن عبد العزيز، بحث أسس التعايش السلمي في الإسلام، مجلة الجامعات الإسلامية، عدد ٤١، ٢٠٠٧م، ص ١٦٢، ١٦٣. والشاهد في هذا المقام لا يكفيها عدد من المجلدات لسردها.

سابعا: لا مانع من مراجعة الأفكار وتغيير القناعات في ضوء التعايش السلمي

البحث عن الحق يسمح للمتعايشين أن يراجعوا أفكارهم ويغيروا قناعاتهم لكن ليس بالإكراه بل بالتي هي أحسن، فمن ولد في الصحراء مثلي لن يجرؤ أن يسبح في الماء إلا إذا وثق من أن الماء يحمل مثل وزنه، ولن تأتي هذه الثقة إلا بالخبرة وأسرع من يقدم لك الخبرة هو من ارتاد السباحة قبلك، هذا المثال هو بعينه في الأديان والأفكار، فالمجادلة كما نعلم هي مراجعة الحديث بين الأطراف المختلفة وليس اللجاج الذي يستخدمه المعاصرون، لكن ذلك بعد أن يشعر المتحاورون بأنهم لن يكرهوا على اتخاذ موقف لا ترتضيه عقولهم وفكرهم، وبدون أي نوع من أنواع الضغوط، وهذا ما أتفق فيه مع من يذهب إلى أن آية [لا إكراه في الدين] هي واحدة من أهم آليات تكريس التعايش السلمي ابتداء[١]، لأنها فعلا تكرس الإقرار بأن الاختلاف بين البشر فطرة إنسانية، ثم تطبيق القاعدة الفقهية (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) وقاعدة (لا إكراه في الدين)، قد طبقها المسلمون خير تطبيق في مجال الإقناع بدينهم وفي خلال نشر عقيدتهم، وتاريخ حكم المسلمين للبلاد الهند خير شاهد فقد حكم المسلمون الهند أكثر من ثلاثة قرون ومع ذلك لا زالت ديانات الهند شاهدة على براءة المسلمين من إكراه غيرهم، وبقاء ملايين الناس على عقيدة الإسلام بعد انتهاء الحكم الإسلامي لهو أكبر دليل على أن هؤلاء الملايين قد اعتنقوا الإسلام في جو من الحرية والحوار البعيد عن الإكراه.

ثامنا: إيجاد صيغة للتعايش بكل وسيلة ممكنة

ولو لم تفلح كل الطرق في إيجاد صورة من التعايش، فهنا يصل الأمر إلى المفاصلة الفكرية والنفسية وكي لا تصل المفاصلة للحروب وإكراه الناس على عقائد لا يؤمنون بها نذهب إلى المباهلة وهي حل في الأساس سلمي ونفسي لمشكلة الاختلافات الحادة، حيث عند إصرار كل طرف على كذب

---

[١] وفاء، د. دريدي و د. على أجو، التعايش السلمي وآلية تكريسه، جامعة باتنة الجزائر، مجلة الدراسات الإسلامية والاجتماعية مجلد ٢ عدد ١٦، ٢٠١٩م، ص ٤٤٧.

الطرف الثاني، فلا حل أمامهم إلا رفع الشكوى إلى خالقهم جميعا وهذه هي المباهلة؛ وصورتها أن يجتمع الناس معا يدعون دعوة على الظالم منهم ثم يفوضون الأمر لله تعالى.

وهنا شرط ضروري أن يبين العالم منهم للجاهل خطورة المباهلة عليه وكذلك إعطائهم الأمان على أنفسهم وعقيدتهم وممتلكاتهم فقد "كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسقف بني الحارث بن كعب وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم: أن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير، من بيعهم وصلواتهم ورهبانهم، وجوار الله ورسوله، لا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا كاهن عن كهانته"[١]، وذلك قبل أن يدعو للمباهلة، فلو كان اللقاء مجرد لقاء إقامة حجة عليهم ما أدخلهم المسجد وما تركهم يصلون صلاتهم في المسجد النبوي، وابن حجر يقول إن من فوائد قصة أهل نجران "أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام .... وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة"[٢]، لكن الباحث يأخذ من كلام ابن حجر هنا فوائد عظيمة في التعايش وهي عدم إلزام الكافر بالعقيدة والتعامل معه باللين الذي يرتضيه الموقف ثم المباهلة كوسيلة للتعايش إذا لزم الأمر ثم الأهم قبول نتيجة المباهلة فإن لم يفصل الله فيها نقبل التعايش بعدها مرحبين بقبول الآخر وحسن معاملته.

---

[١] ابن سعد أبو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط١، ١٩٦٨م ج١، ص ٢٦٦.

[٢] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن على، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت لبنان، د.ت، ج٨ ص ٩٥.

المبحث الثاني

الضوابط والمرتكزات الفكرية للتعايش السلمي

سوف نسردها هنا مجموعة من الضوابط تكون كمنطلقات فكرية ومرتكزات اجتماعية في إقامة تعايش حقيقي، فاحترام مجموعة هذه الضوابط كالعدل والتسامح والتعاون وغيرها يمهد للعقل الجمعي في أي مجتمع بناء لحمة قوية وإيجاد وشائج ورابط اجتماعية متينة، في حين لو ساد الظلم وضاق الأفق وعم الكره والإبعاد في مجتمع ما، ظهر –ولابد– التفرق والتشرذم والخذلان في هذا المجتمع ودمر بعضه بعضا، ونتفق مع بعض الباحثين في أن من أسس التعايش بلا شك المواطنة والاختلاف والكرامة والحرية والتعددية والعدل والمساواة والتسامح[١]، بل ونزيد عليها جملة من الأسس نسردها هنا في مجموعة من المبادئ ونجعلها كالضوابط لهذا التعايش السلمي المنشود، وهذه المبادئ يرتضيها الفكر الإسلامي في نصوصه الأساسية وفي ممارساته العملية كما سنوضح:

أولا: مبدأ العدالة

العدل هو أهم ضابط من ضوابط التعايش السلمي، ويتفق على هذا المبدأ أو الضابط كل عاقل، بل لا يقبل العقل أصلا تعايشا سلميا لا يسوده العدل، وقد دعا الإسلام أتباعه بالعدل في القول والعمل والشهادة، وكي لا يتطرق الفهم إلى المسلمين أن العدل هو قائم بين المسلمين بعضهم بعضا فقط نبه القرآن الكريم المؤمنين إلى أن العدل في دينهم يتجاوز المجتمع الخاص إلى المجتمع العام، بل جعله مقرونا بالتقوى، وهي غاية أعمال المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢]، وأقبح الظلم وأشنعه هو قتل النفس بغير حق، ومن أجل هذا بين النبي صلى الله عليه وسلم مغبة الظلم وعاقبته بالحرمان من الجنة، وهي غاية مطلب المؤمنين من إيمانهم وأعمالهم معا فقال

---

[١] التعايش السلمي من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص ١٩٠،١٩١

[٢] سورة المائدة، آية ٨.

صلى الله عليه وسلم: "من قتل معاهَداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً"[١]، وقتل النفس ظلم، أيا كانت تلك النفس مسلمة أو غير مسلمة.

ومن له عهد مع المسلمين أولى وأوثق بلا شك ممن ليس له عهد معهم[٢]، فالإسلام يجعل المسلمين في خيار بين الجنة ووسيلتها العدل، وبين النار ووسيلتها الظلم، فلا فكاك للمسلم من أن يكون عادلا، ومشهور قصة عبدالله ابن رواحة رضى الله عنه عندما كان يخرص ليهود خيبر ثم حاولوا رشوته فأبى، وقال" يا مَعشر يهود، أنتُم أبغض الخَلْق إلي، قتَلتم أنبياء الله، وكَذَبتم على الله، وليس يَحمِلني بُغْضي إيَّاكم أنْ أَحيف عليكم، قد خَرَصت عِشرين أَلْف وَسْقٍ من تَمرٍ، فإنْ شِئتم فلكم، وإنْ أَبَيتم فلي، قالوا: بهذا قامَت السَّمَوات والأرض، قد أَخَذناها"[٣]، إذا هذه السمة أضحت غالبة في تاريخ المسلمين في تعاملهم مع غيرهم ومن شذ عنها كان جافيا أو غاليا.

وقد بين عدد غير قليل من المستشرقين عدل المسلمين في التعامل مع من انتصروا عليهم وأحسن العرب سياسة سكان إسبانيا كما أحسنوا سياسة أهل سوريا ومصر، فقد تركوا لهم أموالهم وكنائسهم وقوانينهم وحق المقاضاة إلى قضاة منهم[٤]، هذا من تمام ممارسة العدل، ولما كان العدل تجلى في كل المبادئ والضوابط التالية اقتصرنا على هذا هنا وسنعود له مرات في المبادئ القادمة.

ثانيا: مبدأ التسامح وعدم الإكراه

التسامح واللين من أسس التعايش التي يبادر بها الإسلام ويقبلها على سبيل التراحم والود وليس من باب الخوف من الآخرين، وليس من باب التقية،

---

[١] صحيح البخاري، ح (٣١٦٦).

[٢] ابن حجر، فتح الباري، ج١٢، ص ٢٥٩.

[٣] مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، ح (١٤٥٢٦).

[٤] غستاف لبون، حضارة العرب، ص ٢٨٠.

فالتقية موطنها الضعف وليس موطنها القوة، فالمسلمون يفتخرون بقوة إيمانهم وقوة توجههم إلى الله تعالى: "فالمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف"[١]، بل من باب كونه دين يسعى لتحقيق الخير للناس– كل الناس– في الدنيا والآخرة[٢]، وكذلك من باب تكريم الله للبشر وتفضيلهم على المخلوقات، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٣]، والمسلم يعلم أن من أكرمه الله لا يجوز بحال إهانته لذاته، بل من هذا الباب لا يجوز أيضا إهانة حتى الحيوان بامتهانه وتكليفه ما لا يطيق ومشهورة الأحاديث الصحاح في هذا الباب.

ومواقف النبي صلى الله عليه وسلم لا تحصى في التسامح مع غير المسلمين، وظهر ذلك جليا في احترام من يخاطبه ومن يدعوه ومن ذلك تعامله مع عدي بن حاتم الذي كان على دين النصارى، بل وإظهار الود لعدي رغم أنه فر وهو يعلم أنه نبي حقا[٤]، وكذلك وقوفه لجنازة اليهودي، ولما سئل قال صلى الله عليه وسلم: "أليست نفساً"[٥]، فأمر أصحابه أن يحترموا عقول الناس ويخاطبونهم بما يفهمون "إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه

---

[١] صحيح مسلم، حديث رقم (٢٦٦٤).

[٢] القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد، الفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق عمر حسن القيام، طباعة، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٣م، ج٢ ص ٤٣٥.

[٣] سورة الاسراء، آية٧٠.

[٤] بديوي، يوسف على، تهذيب السيرة النبوية لابن هشام، ط١، اليمامة، دمشق، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ص ٥٠٣. والقصة طويلة وخلاصتها ما جاء فيها من حوار ودود ومتسامح مع عدي بن حاتم، إذ يجلس الرسول صلى الله عليه وسلم على الأرض ويعطي الوسادة عدي بن حاتم ليجلس عليها ويعاتبه على مخالفة قواعد دينه، وأنه كيف يخالف ما حرم الله في دينه ويقر عدي بمخالفته لدينه وغير ذلك من التودد إليه وإظهار التسامح معه، وكانت من نتيجة ذلك كما يقول عدي رضى الله عنه أن بدل الله كرهه محمدا حبا فأسلم راضيا.

[٥] رواه البخاري ح (١٣١٣)، ومسلم ح (٩٦١).

شهادة أن لا إله إلا الله"[١]، فلم يقل له سفه دينهم أو احتقر معتقدهم، فاحترام المسلمين لاختيار غيرهم من عقائد جلى منصوص عليه في القرآن والسنة، وهو باب (لا إكراه في الدين) وليس من باب قبول دين المخالف ولا الاعتقاد بصحته.

والممارسة العلمية للمسلمين جيلا بعد جيل تثبت هذا التسامح في التعامل مع عقائد غير المسلمين وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقول لعجوز نصرانية:" أسلمي تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق قالت: أنا عجوز كبيرة، والموت أقرب إليّ! فقال عمر: اللهم اشهد"[٢] أي اشهد أني بلغتها وأني لم أكرهها على شيء.

فالتعايش السلمي يعني إذا قيام حياة مشتركة قائمة على أساس المحبة والتسامح بين فئات مختلفة دينيا وبين الأمم بتحقيق السلام القائم على العدل[٣]، واستحالة حصر مواقف المسلمين في ذلك التسامح وعدم الإكراه لأحد، بل لم يوثق في تاريخ المسلمين أو من أرخ لهم من غيرهم حالة واحدة تم إكراه أمة أو جماعة من الناس على اعتناق الإسلام أو حتى الالتزام بأقضيته رغما عنهم.

ولاتزال كتب المستشرقين تؤكد تطبيق المسلمين لمبدأ التسامح، فيذكر رتشارد ستبيز تسامح العثمانيين من المسلمين، "فلقد سمحوا للنصارى جميعا الإغريق منهم واللاتين أن يعيشوا محافظين على دينهم وأن يصرفوا ضمائرهم كيف شاءوا بأن منحوهم كنائسهم لأداء شعائرهم في القسطنطينية وفي أماكن أخرى كثيرة جدا"[٤]، وهذا ما يؤكده جليا المستشرق غستاف لبون حين يقول: "

---

[١] صحيح البخاري حديث رقم (٧٣٧٢)، يعلق ابن حجر، فيكن أول ما تدعوهم إليه معرفة الله وهذا دل أن معرفة الله تحتاج إلى تنبيه وليس فقط تأتي بالاستدلال والنظر المحض، فتح الباري، ج١٣، ص ٣٤٩.

[٢] البيهقي، أبوبكر، سنن البيهقي الكبرى، ج١ ص ٣٢.

[٣] وفاء، د. دريدي و د. على أجو، التعايش السلمي وآلية تكريسه، ص ٤٣٨

[٤] وفاء، د. دريدي و د. على أجو، التعايش السلمي وآلية تكريسه، ص ٤٥٣.

إن القوة لم تكن عاملا في انتشار الإسلام، فقد ترك المسلمون أصحاب البلاد التي فتحوها أحرارا في البقاء على دينهم[١]، ولم يرصد أحد من المستشرقين المتعصبين حالة يسجلها التاريخ في هذا الشأن.

بل سجل التاريخ العملي والعلمي للمسلمين ما يشرف به أي مسلم، ووصل الأمر إلى أنه ولو قام مسلم بإكراه غير المسلم لم يصر هذا المكره مسلما؛ لأننا كما يقول الإمام النووي "التزمنا الكف عنه"[٢]، فالإسلام لا يجيز إكراه الذمي والمستأمن، بل ولا غيرهم، حتى أن هذه الممارسة المخالفة لتعاليم الإسلام لو فعلها أحد يكون ذلك المكره قادر على الرجوع عن الإسلام متى توفر له من يحميه من هؤلاء الغلاة باسم الإسلام، وغالبا سيحتمي بعلماء المسلمين وحكامهم وحدث ذلك كثيرا في تاريخ المسلمين "فإن رجع إلى دين الكفر لم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام"[٣]، لأنه لم يسلم راضيا حرا ومن ثم فالإسلام لا يقبل أن يعتنقه أحد مكرها.

والمسلمون يكرسون الإقرار بأن الاختلاف بين البشر فطرة إنسانية، وتم تطبيق القاعدة الفقهية (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) وقاعدة (لا إكراه في الدين)[٤] بشكل واضح في كل ممارسات المسلمين، وفي مقابل هذا التسامح نجد أنه عندما أصبحت النصرانية دين الدولة الرسمي لبلد مثل مصر "أمر القيصر ثيودور في سنة ٣٨٩م بهدم جميع تماثيل الآلهة المصرية القديمة... ولا تزال مصر ملأى بأنقاض ذلك التخريب الذي أملاه التعصب وتعد تلك الأعمال من

---

[١] غستاف لبون، حضارة العرب ترجمة عادل زعتر، الناشر مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م.، ص ١٤٣.

[٢] النووي، محي الدين يحي ابن شرف، الأذكار من كلام سيد الأبرار، تحقيق محي الدين الشامي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط٤، بيروت لبنان ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص ٣١١.

[٣] الشيباني، محمد بن الحسن، شرح السير الكبير، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، ت: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج١٠، ص ١٣٠. انظر أيضا، السقار، منقذ بن محمود، التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، ط١، رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة ١٤٢٧،٢٠٠٦م، ص ١١.

[٤] وفاء، د. دريدي و د. على أجو، التعايش السلمي وآلية تكريسه، ص ٤٤٦.

أفظع ما عرفه التاريخ من أثر عدم التسامح ....بل أكرهت مصر على انتحال النصرانية وهبطت بذلك إلى دركات الانحطاط إلى أن جاء العرب"[١]، فحرر المصرين من ظلم الرومان، وترك المسلمون معابد النصارى المصرين بل ومعابد من سبقهم دون أي مساس.

ولما وجد بعض المستشرقين أن الفاتحين المسلمين من غير العرب أعنف وأقل تسامحا من العرب فيما بعد أنصفوا العرب[٢] وظلموا الإسلام، لأنهم ظنوا أن هذا التسامح من صفات العرب والذي نزعمه هنا أن الإسلام هو ذاته السبب في ذلك وليس الجنس العربي، لأن بعض المستشرقين لم يفهموا الإسلام ولا أثره المتين في العرب المسلمين، فصحة ملاحظتهم تكمن في أن العرب كان فهمهم في أول الأمر للإسلام أجود وأمتن، لذا كانوا أحسن أخلاقا، ولما تعلم غير العرب الإسلام وأخلاقه ساروا كإخوانهم من العرب.

فكما نُقل عن العثمانيين وغيرهم من فرس وبربر من فهم سامق للإسلام ومن مجد تليد في حمله، فالحسن البصري ونافع مولى ابن عمر والترمذي وغيرهم كثير، ليسوا عربا، بل أحسب أنه لما توحش العرب عن الإسلام صاروا أسوأ من البربر ومن الفرس، ولا ننكر أن الإسلام كان ضعيفا في نفوس غير العرب في أول أمره، خاصة عند عوام المسلمين، وليس خاصتهم، ثم لما فهموه كالعرب صاروا منابر من نوره؛ عربا وعجما وإن كتب التاريخ لتزخر بدور الفرس خاصة في نشر الإسلام وغيرهم[٣]، وكما تعج كتب التاريخ بأسماء علماء من الفرس ومن البربر ومن غيرهم تزخر أيضا بأسماء من العرب سواء بسواء.

والمستشرقون يؤكدون ذلك بأن الشرقيين عامة أكثر تسامحا من الغربيين حتى في العصر الحاضر رغم التعليم والحضارة، فأظهر "ما يتصف به الشرقيون: هو أدبهم الجَم، وحِلمهم الكبير، وتسامحهم العظيم نحو الناس

---

[١] غستاف لبون، حضارة العرب، ص ٢٢٠.

[٢] المرجع السابق، ص ٣١٤.

[٣] عبد الحليم د. رجب محمد، انتشار الإسلام بين المغول، ص ٧٩.

والأموال، ودعتهم ووقارهم في جميع الأحوال، واعتدالهم الكثير في الاحتياج، وقد منحهم إذعانهم الهادئ لمقتضيات الحياة طمأنينةً روحية قريبة من السعادة المنشودة في حين تورثنا أمانينا واحتياجاتُنا المصنوعة قلقًا دائمًا بعيدًا عن تلك السعادة"[١]، وذلك لعدم ثقتهم في عقيدتهم وفي فكرهم.

وفي مقابل الغربيين الذين يظهر المرء عندهم ذو شخصيتين[٢]، شخصية المتحضر القابل للتعايش والشخصية التي تنفي الأخر ولا تحترم حرية اختيار عقيدته ولا تحترم حرية فكره، وإن دل ذلك، فإنما يدل على غياب روح التسامح وضعف ثقتهم في دينهم وفي حضارتهم، فالذي يثق في فكره وحضارته لا يخشى عليها من الضياع فيفرضها على الآخرين بالقوة، وهو ما وضح في سلوك الغرب حتى اليوم مع المسلمين الذين يعيشون معهم منذ قرون خلت.

فمازالت تتوالى القوانين ضد المسلمين في فرنسا صاحبة شعار الحرية والإخاء والمساواة[٣]، وقانون حظر الحجاب لطلاب المدارس الذي صدر عام ٢٠٠٤م يُعد أكبر شاهد على مخالفة القول العمل، وأكثر ما شد انتباهي كباحث في الفلسفة السياسة عموما وفلسفة الدين خصوصا ليس القانون، إنما الحوارات التي دارت قبل إصدار قانون الحجاب وذلك في صيف عام ٢٠٠٣م، حيث كنتَ ترى الحقد وتسويق نبذ المخالف وعدم منح الفرصة لملايين المواطنين الفرنسيين، مجرد فرصة، لشرح موقفهم، فقد آلمني كثيرا طريقة فرض الرأي على جمهور قد تعايش مع الحجاب أكثر من عقدين من الزمان، ولم يرصد أحد مشكلة من حجاب مسلمة أو راهبة، إنما هكذا تُفرض القوانين باسم

---

[١] غستاف لبون ، حضارة العرب، ص ٣٦٩.

[٢] يقول غستاف لبون" "الشخصية العصرية التي كَوَّنَتها الدراسات الخاصة والبيئة الخلقية والثقافية، والشخصية القديمة غير الشاعرة التي جَمَدَت وتحجرت بفعل الأجداد وكانت خلاصةً لماضٍ طويل، والشخصية غير الشاعرة وحدها، ووحدها فقط، هي التي تتكلم عند أكثر الناس وتُمسِك فيهم المعتقدات نفسَها مسماةً بأسماء مختلفة، وتملي عليهم آراءهم، فيلوح ما تُمليه عليهم من الآراء حُرًّا في الظاهر فيُحترم." انظر غستاف لبون، حضارة العرب، ص ٦٠٠.

[٣] هذا هو شعار الثورة الفرنسية منذ ١٤ يوليو ١٧٨٩ وحتى اليوم.

التعايش وهدفها ضرب التعايش في مقتل! بل تخويف المتعايشين بعضهم من بعض!

ثالثا: مبدأ المواطنة

شعور الانتماء للدين لا يلغي الشعور الوطني للمختلفين دينيا، فحتى المسلمين الذين جعلوا من الإسلام هوية وجنسية كما يقول الإمام محمد عبده[١] نجدهم يحبون أوطانهم ويتعارفون مع جيرانهم في الوطن من غير المسلمين ويتوادون فيما بينهم.

والإسلام جعل من يستوطن بلاد المسلمين مسلم الجنسية ولو لم يكن مسلما حسب فهم الإمام محمد عبده وكذلك جعل العلامة محمد إقبال الإسلام وطن ودين لمن يقطن بلاد المسلمين ومن ليس بمسلم فهو مواطن له كل الحقوق كالمسلمين، ولو صح أن للعرب التأثير الأكبر في مجموع الأجناس التي اعتنقت الإسلام، وذلك بسبب أنهم حملوا الإسلام في صورة واضحة، فانطبع في ذهن كثير من المستشرقين مثل ارنست رينان وجلد تسهير وغستاف لبون وغيرهم أن العرب وحدهم أصحاب التأثير العظيم في العالم فهذا ليس صحيحا في كل العصور، إذ يقول غستاف لبون: " إنه كان للحضارة الإسلامية تأثيرٌ عظيم في العالم، وإن هذا التأثير خاص بالعرب وحدهم فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم، وإن العرب هَذَّبوا البرابرة الذين قَضَوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخُلقي، وإن العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم

---

[١] وذلك في الفتوى الشهيرة للإمام محمد عبده والتي ذهب فيها إلى أنه لا جنسية في الإسلام وأن الإسلام هو جنسية كل مسلم، ومع ذلك لم يكن هو شخصيا إلا محبا لوطنه الخاص ومدافعا عنه، بل حكم عليه بالإعدام في سبيل اصلاح هذا الوطن، فوطن المسلم هو المحل الذى ينوى الإقامة فيه ويتخذ فيه طريق كسبه لعيشه، ويقر فيه مع أهله، ولا ينظر إلى مولده، إنما بلده ووطنه الذى يجرى عليه عرفه وينفذ فيه حكمه هو البلد الذى انتقل إليه واستقر فيه، انظر الفتوى في موقع وزارة الأوقاف المصرية، الموقع التالي:

http://islamport.com/w/ftw/Web/432/2473.htm.

الثقافي، فكانوا مُمدِّنين لنا وأئمةً لنا ستة قرون"[١]، وهذا قد يكون صحيحا منضبطا بالعرب الأوائل، إلا أن الشعوب التي حملت الإسلام مع العرب في العصور التالية لعصر الصحابة الكرام، لم يكونوا أقل حمية وحماسا وفهما للإسلام من العرب، بل ربما في عصور خفت فيها دور الجنس العربي حمل الإسلام أجناسا أخرى كالفرس والترك والبربر، وعصر الدويلات يُعد شاهدا على هذا، ودولة المرابطين والدولة العثمانية خير دليل على ذلك.

ومع ذلك لا ننكر أن هناك من غير العرب من حرف مسيرة الإسلام في بعض الأحيان، لكن لم يستمر تحريفهم حتى في شعوبهم غير العربية، حيث في كل مرة يخرج من نفس القومية من يجدد لهم الدين، فيعود صافيا كما كان[٢]، ولم يحدث في الإسلام ما حدث في النصرانية من تبديل روح الدين، ولهذا لم ينقسم الإسلام هذا الانقسام الحاد الذي جعل النصرانية في ثلاث أديان مختلفة جذريا، بل لم يستفد النصارى من تسامح المسلمين، فبعد أن استردوا غرناطة التي كانت مَعْقِل الإسلام الأخير في أوروبا، لم يستطيعوا "السير على سنة العرب في التسامح الذي رَأوه منهم عدة قرون؛ بل أخذوا يضطهدون العرب بقسوة عظيمة على الرغم من العهود"[٣]، ومع ما كان يصيب العرب من الاضطهاد ظل تفوقهم الثقافي عاملًا في بقائهم على رأس جميع الصناعات، لدرجة اتهام الأسبان لهم بالاستيلاء على جميع المهن[٤]، وظل تأثير المسلمين في غيرهم من الأمم التي انتصرت على المسلمين، فقد ترك المغول إدارة كثير من البلاد للمسلمين[٥] لما لهم من خبرة وعلم وفن وتحضر في القيام بالمهام

---

[١] غستاف لبون ، حضارة العرب، ص ٦٠١، ٦٠٢.

[٢] من يتصبر المجددون في العصر الماضي فقط سيجد منه البربر والتركمان والهنود غيرهم يكفي أن نذكر أن مجدد الدين للهند المسلمة ومؤسس باكستان الروحي هو العلامة محمد إقبال هندي وليس عربي، وقاد مسيرة الإصلاح في المغرب عبد الحميد بن باديس لم ينسب نفسه للعرب، ومنظر التجديد في العالم الإسلامي الأستاذ الإمام محمد عبده أصل والده تركماني، وغيرهم كثير.

[٣] غستاف لبون، حضارة العرب، ص ٦٠٥.

[٤] المرجع السابق ص ٦٠٥.

[٥] عبد الحليم د. رجب محمد، انتشار الإسلام بين المغول، ص ٨١.

التي كانت توكل إليهم، وذلك لأمانتهم التي أمرهم بها الإسلام وتسامحهم حتى مع من هزمهم.

ويؤكد المستشرقون أن التسامح الذي ظل يرفرف في حكم المسلمين في الأندلس، لم يتحمله النصارى عند انتصارهم على المسلمين، ولم يستطيعوا أن يجاوروا المسلمين الذي هُزموا فطالبوا بطردهم، وتطرف رجال الإكليروس النصارى فأشاروا "بقتلهم جميعًا رجالًا ونساءً وشيوخًا وأطفالًا"[١]، فقُتل ثلاثة أرباعهم تقريبًا، وتمَّ جلاء الباقي، فقط لشعورهم بالهزيمة الفكرية من المهزوم حربيا[٢]، ولو كانوا يثقون بعقيدتهم وبما عندهم من فكر يقدمونه لغيرهم ما فعلوا ذلك.

وهذا ما لم يفطن إليه الغربيون، فاتصاف المسلمين الفاتحين بالتسامح "كان من الأسباب السريعة في اتساع فتوحهم، وفي سهولة اعتناق كثير من الأمم لدينهم ونُظُمهم، ولغتهم التي رسخت، وقاومت جميع الغارات، وبقيت قائمةً حتى بعد تواري سلطان العرب عن مسرح العالم"[٣]، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على قوة الإسلام وثباته، وحسن مناسبته للواقع، والذي نخلص إليه هنا من هذه النصوص السابقة وغيرها هو أن الذي جعل من الإسلام دينا ووطنا هو تعايش المسلمين مع غيرهم في البلاد التي فتحوها ومع الأمم التي خالطوها، فنتج من هذا التسامح أن يصبح الإسلام وطنا للفاتحين ولمن فتحت بلادهم، وصاروا أمة واحدة مع اختلاف عقائدهم وثقافاتهم، ومن هنا كانت المواطنة بين المسلمين وغيرهم جزءا لا يتجزأ من التعايش المحمود.

رابعا: مبدأ التعاون الاجتماعي

يعد بعض الباحثين أهم الأسس للتعايش كرامة الإنسان واحترام اختياراته بغض النظر عن دينه ولونه وجنسه وكذلك العدل والأمن والوفاء بالعهد وتوفير العيش الكريم لكل إنسان والتعاون التجاري ونشر الدين الحق والبعد

---

[١] غستاف لبون، حضارة العرب، ص ٦٠٥.

[٢] المرجع السابق ص ٦٠٥.

[٣] المرجع السابق، ص ٦٣٠.

عن الكبر والخيلاء وحماية الضعفاء والتسامح وغيرها[١]، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخالق المسلم الناس بخلق حسن، ففي حديث رواه معاذ رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحوها، وخالق الناس بخلق حسن"[٢]، وهذا الخلق الحسن هو الذي انبهر به المغول فدخلوا الإسلام وهم منتصرون[٣].

ومواقف النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصر في هذا الشأن، ففي سيرة ابن هشام مواقف كثيرة تبين قبول النبي وتعايشه مع بعض حالهم وغلظة بعضهم، كما فعل مع وفد تميم حتى أسلموا[٤]، ومن أرق المواقف موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع ابنة حاتم الطائي[٥]، وسماع شكواها عندما كانت في الأسر، وقبوله الهدايا من المشركين، وموقفه مع المرأة اليهودية التي قدمت له هدية، لكنها شاه مسمومة، فسألَها عن ذلكَ؟ فقالت: صراحة أردتُ أن "أقتلك فقالوا ألا نقتلُها قالَ لا"[٦] وغير ذلك كثير مما لا يتسع المقام لمجرد عده، من تلطف النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالفين له في الدين.

ومن المواقف العجيبة في السيرة ما كان من ثمامة بن أثال رضي الله عنه؛ إذ كان من سادات بني حنيفة، ومن كبار تجار القمح فيها، وعندما أسلم أقسم ألَّا تصل حبَّة حنطةٍ منه إلى المشركين في مكَّة؛ لأنَّهم آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلَّا أنْ يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ثمامة: لا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبَّة حنطةٍ حتى يأذن فيها النبيُّ صلى الله عليه

---

[١] المصلح، عبد الله بن عبد العزيز، بحث أسس التعايش السلمي في الإسلام، ص ١٥٧.

[٢] سنن الترمذي، حديث رقم ١٩٨٨.

[٣] عبد الحليم د. رجب محمد، انتشار الإسلام بين المغول، ص ٦٢ وما بعدها.

[٤] تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٤٩٠، وانظر أيضا انظر أيضا المصلح، عبد الله بن عبد العزيز، أسس التعايش السلمي في الإسلام، مرجع سابق عدد ٤١، /٢٠٠٧، ص، ١٥٩.

[٥] تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٥٠١.

[٦] من حديث البخاري رقم (٢٦١٧)، ويعلق ابن حجر على هذا الباب والذي يليه بأن ذلك من البر والقسم كما ربط البخاري أيضا بين البابا وبين آية سورة الممتحنة، انظر/ ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٥، ص ٢٢٣،٢٢١.

وسلم[١]، ولما بلغ الجهد بقريش واضطروا للطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدخل وناشدوه الرحم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة أن يرسل إليهم ما منعه عنهم[٢].

وهذا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب أروع الأمثلة في التعاون مع غير المسلمين، حين يوفر لهم الرعاية الاجتماعية، وينتشلهم من أزماتهم؛ فقد روى القاضي أبو يوسف في كتابه (الخراج) "أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بباب قومٍ وعليه سائلٌ يهودي يقول: شيخٌ كبيرٌ ضريرُ البصر، فقال له عمر: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الحاجة والجزية. فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيءٍ ممَّا في المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم... وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضَع عنه الجزية وعن ضربائه"[٣].

ويذكر أيضا أن عمر بن الخطاب يعلو أحد ولاته بالدرة، لما تأخر الخراج من ناحيته، فيقول واليه متعللا سبب التأخير: "قد أمرتنا ألا نزيد الفلاحين عن أربعة دنانير فلسنا نزيدهم، ولكن نؤخرهم إلى غلاتهم، فقال عمر لا عزلتك ما حييت"[٤]، وذلك لما علم أن وجه التأخير الرفق بالناس وكان يحب يحب الرفق بالناس أسوة بالنبي صلى عليه وسلم.

وكان الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز يكتب إلى من يوليه: "وانظر من قِبَلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب؛

---

[١] صحيح البخاري، كتاب المغازي، ح (٤١١٤)، وكذلك صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، ح (١٧٦٤).

[٢] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٥٥٠.

[٣] أبو يوسف، الخراج، ص١٤٤.

[٤] سلام، أبي عبيد القاسم، كتاب الأموال، ص ٥٤.

فأجرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه"[١]، وهكذا تتضح صورة التعاون مع غير المسلمين في أوج قوة دولتهم.

وظل المسلمون يتعاونون مع مجتمعهم فيما يسند إليهم من أعمال حتى مع الدول التي هزمتهم فهذه عائلة مسلمة تتولى العمل الإداري في بلاط بعض قادات المغول ويسند إليهم معاونة حكامهم غير المسلمين لخدمة مجتمعهم فما يتأخرون، فقد قام محمود يلواج وابنه من بعده مسعود "وأبنائهم بأداء مهمتهم خير قيام في خدمة المجتمع الذي كان يحكمه المغول بل نهضت هذه العائلة المسلمة "بتلك البلاد فازداد العمران وانتشرت المدارس التي أسسها مسعود من ماله الخاص في بخارى وكاشغر وغيرها، والتي سميت بالمدارس المسعودية نسبة إلى بانيها"[٢]، فكانوا يعملون في خدمة البشرية من أي موقع تولوه حتى مع من انتصر عليهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على التعايش الاجتماعي الحقيقي، وليس مجرد كلمات جوفاء يقدمها بعض الإعلاميين هنا وهناك.

ولهذا تسمع في الغرب كلمات تطن في الأذن عن الإنسانية وحقوق الإنسان وغيرها، فتسمع جعجعة ولا ترى طحنا، كما في المثل العربي القديم، فتسمع إعلام الغرب فتظنهم أخوة لك في الإنسانية، وأنهم لن يقبلوا فيك الذل والمهانة كونك من البشر، فإذا كان القتيل ليس من ذوي البشرة البيضاء تصم الأذان وتعمى الأبصار!

---

[١] المرجع السابق، ص ٥٦.

[٢] عبد الحليم د. رجب محمد، انتشار الإسلام بين المغول، ص ٧٧.

خامسا: مبدأ الحوار والتعارف

أو أطلق عليه من باب أوسع (مبدأ الذوق)، فالذوق والأدب مع المخالف هو جوهر التعايش وأساسه المتين، ولو جعلنا المختلفين كلا في اختلافه منعزلين بعضهم عن بعض، نكون قضينا على فلسفة التعايش ودمرنا مستقبل الشعوب، فالاتفاق على قليل الفائدة خير من الاختلاف على عظيمها، فلو افترضت أن الدين ليس له فائدة إلا في أمن المجتمعات وسلامة الإنسانية من الهلاك وارتضيته لمن اختاره لهو خير لي من أن أزعم أنني على حق وأهدم المجتمع وأفسد أخلاقه، لهذا وضحت معاني الذوق في دعوة المسلمين لغيرهم، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[١]، وهو كما نص علماؤنا "للناس كلِّهم"[٢]، وقد روي عن عطاء بن رباح أنه كان يقول إن معنى هذه الآية" من لقيت من الناس فقل له حسنًا من القول"[٣] ولا يكون الحسن إلا باختيار أطايب الكلام والبدء بالسلام ولا أقصد البدء بالسلام التحية المعروفة فقد يكون البدء بها هوانا وذلا في حق من يقدمها لمن يمتهن معانيها، لكن البدء بالسلام النفسي وهو سلامة الصدر واحترام مشاعر الآخر، وهذا لا يعني الإيمان بعقيدته ولا التصديق بما يؤمن به على الوجه المرضي له، ولهذا كان الحوار من وسائل التعايش السلمي، ولابد للحوار أن يكون حوارا مثمرا ليقرب الناس بعضهم ببعض.

فبلا شك الحوار يسهم في توسيع العقل وتعميق مداركه بما لا يوسعه ولا يعمقه النظر؛ الذي لا حوار معه، إذا الحوار هو بمنزلة نظر من جانبين اثنين وليس النظر من جانب واحد، فالعقل يتقلب بتقلب النظر في الأشياء، وأنه على قدر تقلبه يكون اتساع فهمه وعمقه[٤]، بل الحوار يعين المتحاورين في النظر إلى حاجات المحتاجين من المخالفين، فتذكر كتب السيرة أن الرسول صلى

---

[١] سورة البقرة آية ٨٣.

[٢] القرطبي، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج٢، ص ٢٩٧.

[٣] انظر: المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

[٤] السايح، أحمد عبد الرحيم، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ٢٠٠٧م، س ٣٦ عدد ١٠٦

الله عليه وسلم لما علم من حواره مع جيرانه من اليهود فقر بعضهم خصص لهم صدقة ظلت مستمرة حتى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فروى أبو عبيد، عن سعيد بن المسيب – رحمه الله – أنَّه قال : "إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدَّق بصدقةٍ على أهل بيتٍ من اليهود فهي تجري عليهم"[١]، فالدين لا يقف ضد التبادل المعرفي ولا يقف ضد الحوار الذي يستفيد منه الطرفان في أي مجتمع كان.

ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة من أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعث إلى أهل مكَّة مالًا لمـــَّا قحطوا ليُوزَّع على فقرائهم[٢] ولا يكون ذلك إلا بعلم النبي صلى الله عليه وسلم بحال جيرانه وأنهم يحتاجون إلى العون وهذا هدف الحوار المجتمعي وغرض أساسي انتبه له الإسلام.

ومع هذه الصورة الناصعة ظل الغربيون يهيلون التراب على تراث المسلمين مع اعتراف بعضهم بما قدم المسلمون من خدمات جليلة ومعارف عظيمة للأمم والشعوب التي عايشوها إلا أنهم يقدمون الاعتراف في صورة من الشعور بالنقص "والحق أن أتباع محمد ظلوا أشدَّ مَن عرفته أوروبا من الأعداء إرهابًا عدة قرون، وأنهم، عندما كانوا لا يردعوننا بأسلحتهم، كما في زمن شارل مارتل والحروب الصليبية، أو يهددون أوروبا بعد فتح القسطنطينية، كانوا يُذلُّوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة، وأننا لم نتحرَّر من نفوذهم إلا بالأمس"[٣]، وهذا الشعور بالهزيمة النفسية جعلهم غير منصفين في كل تاريخهم المعاصر إلا ما ندر.

فهم يذهبون إلى تراكم نظرتهم المختزلة الموروثة ضد الإسلام والمسلمين في قرون كثيرة، بل صارت هذه النظرة كما يقول بعضهم "جزءًا من مزاجنا، وأضحت طبيعةً متأصلةً فينا تأصُّلَ حقد اليهود على النصارى الخَفِي أحيانًا

---

[١] سلام، أبي عبيد القاسم، كتاب الأموال، ص٦١٣.

[٢] الشيباني، محمد بن الحسن، شرح السير الكبير ج١، ص ١٤٤.

[٣] غستاف لبون، حضارة العرب، ص ٦٠٠.

والعميق دائمًا"[١]، وإذا أضفنا إلى النظرة الضيقة إلى الإسلام زاد مع القرون بفعل ثقافة الغرب المبغضة للمسلمين، بعدهم عن الإنصاف مما جعلهم يزعمون أن اليونان واللاتين وحدهم منبع العلوم والآداب في الزمن الماضي، ومن ثم أدركوا كما يقول غستاف لبون: "بسهولةٍ سرَّ جحودنا العامِّ لتأثير العرب العظيم في تاريخ حضارة أوربا"[٢]، وهذا طبعا كان ذا أثر خطير على الغرب ذاته، حيث نظر المنصفون منهم إلى أقرانهم ومؤرخيهم بأنهم غير منصفين، فخسر الغرب كثير من عدم الإنصاف، ولم يستفيدوا بشكل جيد بحضارات غيرهم، وضاقت بهم الأمم التي انتصروا عليها عسكريا فقاوموهم، فلم يكن التعايش وسيلتهم في الإفادة من الأمم التي استعمروها.

سادسا: مبدأ السلام النفسي والأمن الاجتماعي.

من المعاني الأساسية في التعايش معرفة المسلم نفسه وأنه خلق ليقود العالم ولكن ليس عن طريق الحروب، أو استعمار الشعوب بل على كاهل المؤمن تقع أمانة قيادة البشرية إلى شاطئ الخير والسلام[٣]، من هذا المعنى يحب المسلمون أن يعايشوا الآخرين ببذل المجهود في خدمتهم، كما أن رقة المشاعر مع الآخر لا تلغي اختلاف المعتقد، بدليل حب الزوجة غير المسلمة وحسن عشرتها مع العلم بأنها على دين غير دينه، فأمر القرآن الكريم المسلمين ببر مخالفيهم في الدين، الذين لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتال. قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٤]، والمقسطون هم المنصفون الذين ينصفون الناس ويتعاملون معهم بالحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من بَرهم،

---

[١] المرجع السابق والصفحة ذاتها.

[٢] المرجع السابق ص ٦٠٠.

[٣] حسون، د. على، الإنسان الكامل عند إقبال، ضمن كتاب مؤتمر عن محمد إقبال، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م، ص ٨٢.

[٤] سورة الممتحنة، آية ٨.

ويحسنون إلى من أحسن إليهم[١]، وحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وقد ذكرنا طرفا منه والذي قالت فيه للنبي صلى الله عليه وسلم: "قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك"[٢]، فأمرها بالبر مع أمها وهي غير مسلمة، وأن تحسن الصلة معها، ولم يأمرها أن تشترط عليها أو تخيرها إما الإسلام وإما العقوق، بل أمرها بالبر مهما كان من عقيدتها ومن حالها.

وكذلك الحديث الذي ذكرناه سابقا الذي يدعو فيه النبي صلى الله عليه وسلم بأن يخالق المسلم غيره بخلق حسن" خالق الناس بخلق حسن"[٣]، دل هذا الحديث على إشاعة روح السلام النفسي مع من يتعامل معه المسلمون، فهم مطالبون أن يتخلقوا بأحسن الأخلاق، وهو مبدأ عظيم في التعايش حيث يسلم المجتمع المتعايش معا من الأذى، بل كان يكفي أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم عامل الناس بخلق حسن، أما أن يقول خالق بمعنى بذل المجهود في التخلق وليس مجرد معاملة ظاهرة، بل توحي كلمة (خالق) بسكون النفس وسلامة القلب في مصاحبة من يتعامل معه من الناس، وكلمة الناس لا تعني المسلمين، بل تعني جميع الناس.

ثم يظهر الكاتب ارنست رينان في أخريات عمره أسفه، على سوء رأيه في العرب، معبرا عن التناقض الذي ينم على ما بين ذاتية الإنسان القديمة وذاتيته العصرية من التنازع، ويأسف لأنه ليس من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: «إنني لم أدخل مسجدًا من غير أن أهتز خاشعًا، أي من غير أن أشعر بشيء من الحسرة على أنني لست مسلمًا» [٤]، وهذا السلام النفسي الذي

---

[١] الطبري، محمد ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن ج٢٣، ص ٣٢٣.

[٢] صحيح البخاري رقم(٢٦٢٠) وصحيح مسلم رقم (١٠٠٣).

[٣] حديث سابق، في سنن الترمذي حديث رقم ١٩٨٨.

[٤] غستاف لبون، حضارة العرب، ص ٦٠٢.

كان يبحث عنه ارنست رينان هو مطلب كل المفكرين في كل عصر، ولا يحجب الوصول إليه إلا الكبر أو استصغار شأن الآخرين.

ومن السلام النفسي توصيل الناس إلى مصالحهم ومعاونتهم على ذلك، ومن حفظ شريعة الإسلام لمصالح العباد أنها تنهى عن الفساد، ومن النهي عن الفساد بلا شك، عدم بخس الناس أشيائهم ﴿ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ولا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١]، وهذا مبدأ موصل يقينا إلى السلام النفسي بين الذين يتعايشون ولا يبخسون حقوق بعضهم بعضا، فاحترام الطبيب والمعلم الذي لا يكون على دين المرء واجب في شريعة الإسلام، ومن الاحترام عدم ذكر نقائص دينه أمامه بلا داعي وبلا حوار ودي سلمي يدله على الهدى.

ومن هذه الأمور الموصلة إلى السلام النفسي الإحسان إلى الجار غير المسلم التي نصت عليها نصوص الشريعة، وكذلك من السلام النفسي البر وصلة الأرحام عيادة المريض، فقد عاد النبي صلى الله عليه وسلم جاراً له من اليهود في مرضه، فقعد عند رأسه[٢]، ومن صور البر التي تهدف إلى كسب القلوب واستلال الشحناء؛ الهدية، وقد أهدى النبي صلى الله عليه وسلم إلى مخالفيه في الدين وقبل هداياهم فقبل هدية المقوقس صاحب مصر[٣]، وغيره، ولم نتوسع في الباب لأنه معلوم من جانب وقد نوهنا عليه سابقا في طيات هذا البحث من جانب ثان.

---

[١] سورة الأعراف، آية ٨٥.

[٢] صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، ح (١٢٩٠)

[٣] ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني في فقه الإمام أحمد ابن حنبل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥ه، ج١٠، ص ٥٥٦.

المبحث الثالث:

معوقات في طريق التعايش السلمي بين الزعم والحقيقة

هناك بعض المشكلات التي تعوق التعايش، منها غياب الوعي وعدم فهم الطرف المقابل للإسلام، ومنها التصادم الفكري والتعصب، ومنها إضفاء صيغة التقديس لفكر بعينه وعدم القدرة على التفريق بين الدين والتجارب الإنسانية، وأخيرا ظهور بؤر التوتر[١]، الناجمة عن الظلم أحيانا وعن سوء التفاهم الذي يقوده الغلاة في كل أمة، ونرصد هنا بعض المعوقات وندرس هل هي فعلا معوقات أم مزاعم يدعيها البعض لكيلا يكون هناك تعايشا حقيقيا تنتفع به المجتمعات، خاصة أنه هناك من يستفيد بالتوتر بين أطياف المجتمع الواحد وهناك من يصنع الخوف بين أطياف المجتمع، ليكسب أصوات الناخبين من التجمعات الكبيرة بتخويفهم من الأقليات، لكن الحوار الحقيق والقراءة المنفتحة لتلك المشكلات تحصر مزاعم عدم التعايش وسوف نرصد أهم تلك المزاعم.

أولا: صدق الإيمان يناقض التعايش السلمي.

يظن البعض أن هناك إشكالات عويصة تعوق التعايش ومن أهمها تمسك المؤمنين بإيمانهم، ويذهب أخرون إلى طرح مسائل الإيمان جانبا لكي نتعايش فكريا وثقافيا، وبعضهم يذهب إلى أن الأديان أكبر عائق أمام تبني تعايش سلمي آمن، مع أن المقابل هو خراب الضمائر وضياع الحقوق وتهوين قيم الإنسان، ومن ثم فإن وجد تعايشا لا إيمان معه، نقصد تعايش لا يراعي الدين أو العقيدة سيصبح تعايش الضعفاء المهزومين نفسيا وروحيا؛ فمن أين يجد المتعايشون أسس يمكن الاجتماع حولها؟! أو يمكن الرجوع إليها في محاكات الاختلاف؟ خاصة إذا غاب الدين.

فالمسلمون الذين يُعدون أكثر إيمانا بصحة نصوص دينهم لم يختلف منهم أحد على احترام مشاعر وحرية الآخرين في اختيار معتقداتهم ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم

[١] العنزي، التعايش السلمي من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص ١٩٢،١٩١.

مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١]، والملاحظ في هذه الآية الكريمة ليس فقط عدم السبّ، بلَ الأهم هنا هو تفويض الأمر لله الذي سيرجع إليه الجميع وسوف يعلمون عند العودة إليه من كان على حق ومن كان على غير الحق، ومن ثم ينتج شعور خوف وتعظيم لأمر الله للمؤمنين بألا يسبوا دينا أو يطعنوا في عقيدة أو يستهزئوا بدين غيرهم ومعتقده، إضافة إلى ما سبق، فالإسلام قبل كل شيء يُعد نفسه وارثا للتراث البشري الديني كله، ومحافظا على تراث البشرية الديني، وبرز ذلك جليا في محاولة المفكر الكبير أبو الحسن العامري، من كبار الفلاسفة المسلمين، خاصة في كتابه الشهير (الأمد على الأبد)[٢]، الذي بين فيه توارث الإسلام مع غيره من الأديان، وكيف أن الإسلام يؤمن بكل النبوات التي جاءت في الكتب السماوية، بل يذهب العامري إلى تأثير الإسلام في كل أفكار البشر وبين كيف حفظ الإسلام بقايا آثار الحكمة التي جاءت في الرسالات والكتب السابقة.

ومن ثم يقر الإسلام بأن هناك رسل وشرائع تسبق شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا الإقرار ذاته يُعد تسامحا وسببا لإقامة تعايش مع غيره من العقائد والأفكار؛ لأنه يجر وراءه الاعتراف باختلاف الشرائع، ومن ثم قبول التحاكم الداخلي لكل أصحاب دين، وهذا ما جاء واضحا في سورة المائدة، ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾[٣]، وكذلك سيجعل هذا الاعتراف المسلمين متسامحين –بطبيعة إيمانهم–مع كل صاحب دين.

---

[١] سورة الأنعام، آية، ١٠٨.

[٢] العامري، أبو الحسن، الأمد على الأبد، بتصحيح ومقدمة أورت ك روسن، ط١، دار الكندي، بيروت، ١٩٧٩م. والعامري ولد في مطلع القرن الرابع الهجري على الراجح في مدينة نيسابور وله مؤلفات مهمة منها، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق: الدكتور أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة للثقافة والنشر، الرياض ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م، ط١، ج١، ص: ٧. وانظر في حياة العامري: أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م. ج١، ص: ٨٤ – ٨٨.

[٣] سورة المائدة آية، ٤٧.

وفي الوقت ذاته الذي يعترف فيه الإسلام بعقائد الآخرين، سيعتز بخصوصيته وأنه جاء في أفضل صورة مناسبة لآخر الزمان، وأنه؛ أي الإسلام، هو الممثل الحقيقي لهذه الطريق الطويل من النبوات والرسالات، ولن يدعي إيمان من يكذب محمدا صلى الله عليه وسلم "فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه"[١]، لكن هل الاعتزاز لا يكره غير المسلمين بالإسلام؟ أو يجرى عليهم أحكاما ظالمة في حقهم ولا في حق دينهم؟ وهل هذا التمايز يدعو إلى عدم التعارف معه أو عدم حسن معاملته أو معايشته؟! فكل هذا مستحيل في عقيدة المسلمين، وهذا هو المقصد من التعايش؛ **الاعتقاد في الاختلاف والعمل على الائتلاف.**

فماذا يعني الكافر بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا كان كفره لن يحرمه حقا ولن يضره في مال ولا في تعامل ولا في تعايش إلا إذا أراد مختارا أن يحارب الإسلام؟ فهنا يكون هو الذي يرفض التعايش وليس المسلمون الذي يعيشون معه؛ لأن المسلمين يفرقون في قلوبهم وأعمالهم[٢] بين أهل الحرب وأهل العهد، سواء من جانب ذمة، ومن جانب الأمان أو من جانب الهدنة ومن جانب التعايش أو من جانب الوطن والمواطنة.

وأهل العهد هم في بلاد المسلمين مواطنون كاملوا الأهلية، يجب الوفاء بعهدهم بنص الآية [وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً][٣]، وهم أحرار فيما يذهبون إليه من أحكام خاصة وآمنون على نفوسهم وأولادهم وأموالهم وممتلكاتهم، بل على عقائدهم ودور عباداتهم، بل حتى المستأمن الذي يقدُم إلى بلاد المسلمين من غير استيطان لها هو صاحب حق في احترام مشاعره وإكرام نزله، وهؤلاء مع اختلافهم بين رسل وتجار ومستجيرين...إلخ فهؤلاء

---

[١] ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢ ١٤١١هـ، ج١، ص ٢٤٢.

[٢] ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد، أحكام أهل الذمة، تحقيق، يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم، الدمام، السعودية، ط، ١٤١٨هـ، ج٢ ص ٨٧٣.

[٣] سورة الإسراء، آية ٣٤.

جميعا آمنون لا يجبرون على ترك بلاد المسلمين، بل لا تؤخذ منهم الجزية[١] ولا تفرض عليهم أموالا بلا وجهة حق، وبصفة أخص التجار، فالأمان ضروري في حقهم، حتى في زمن الحروب، فجاء عن الإمام أحمد بن حنبل وغيره في ضرورية احترام التجار لأنهم مصدر أرزاق الناس وحملة أقواتهم " فإذا ركب القوم في البحر فاستقبلهم فيه تجار مشركون من أرض العدو يريدون بلاد الإسلام لم يعرضوا لهم ولم يقاتلوهم، وكل من دخل بلاد المسلمين من أهل الحرب بتجارة بويع، ولم يسأل عن شيء"[٢]، فالتاجر يحمل رزقه ويعمل على تبادل المنافع بين البلاد التي يمر فيها.

بل لم يترك الإسلام الأمر فقط إلى حكام المسلمين، فجعل استضافة أو إجارة (طلب اللجوء) أي واحد من غير المسلمين يقوم بها أي فرد من المسلمين وعامتهم، فيمكن للمسلم وللمسلمة أن يجيروا من شاءوا، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم من أجارت أم هانئ، فقال لها: "قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ"[٣]، إنما يجير على المسلمين أدناهم، وقبل إجارة زينب رضى الله عنها لما أجارت زوجها قبل إسلامه[٤]، وبناء على ذلك فأي مسلم، يمكن أن يحتمى به غير المسلمين ويتحصن به من ظلم أو من فقر أو من حاجة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منهم صرف ولا عدل"[٥]، وهذا هو نوع من الوفاء بالعهد للغير؛ فلا يجوز لمسلم أن يهين من لجأ لأخيه المسلم

---

[١] ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد، أحكام أهل الذمة، ج٢ ص ٨٧٤.

[٢] ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل، مرجع سابق ج١، ص ٤٣٣.

[٣] صحيح البخاري ح (٣٥٧) .

[٤] رواه أبي داوود حديث رقم (٢٦٩٢)، وتفاصيل الحدث كما جاء تهذيب سيرة ابن هشام، وذلك من مرويات أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، أنه لما رأى صلى الله وسلم قلادة خديجة رق لها رقة شديدة وقال: "ان أردتم ان تطلقوا لها أسرها وتردوا عليها مالها فافعلوا فقالوا نعم" انظر: يوسف على البدري، تهذيب سيرة ابن هشام، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ٢٠٠٠م، ص ٢٣١.

[٥] صحيح البخاري، ح (١٨٧٠).

فأجاره، لأن المسلمين متساوون في حفظ دينهم ويعرف بعضهم فضل بعض، وهو نوع من الثقة الداخلية في فهم المسلمين للإسلام.

ولا أعتقد دينا يعطى العوام في الثقة بنصوصه وحفظ أحكامه كما يعطيها الإسلام للعوام من أتباعه، وإن دل هذا عن شيء فإنما يدل على وضوح الإسلام وبساطته من جانب وتمكنه من أتباعه من جانب ثانٍ، كما يدل من جانب ثالثٍ على تحفيزهم على حمل المسؤولية المشتركة مع إخوانهم العلماء سواء بسواء، لهذا لم يجعل الإسلام سلطة دينية للعلماء كما فعلت ديانات أخرى كاليهود والنصارى، بل يمكن للمسلم أن يجري مع جيرانه من غير المسلمين علاقات اجتماعية وأن يتزوج منهم ويبيع ويشترى دون الرجوع إلا إلى فهمه للدين وتحريه بذاته لأحكامه.

ثانيا: الاعتقاد بتمايز الثقافات والأفكار يتناقض مع التعايش السلمي

ليس من التعايش ولا من متطلباته الاعتقاد بمساواة الأديان أو الأجناس أو الثقافات، ولا حتى التفاوت الطبيعي بين قدرات البشر المختلفة بالتعليم والتهذيب أو بالوراثة والموهبة، فمثلا لو أعتقد المسلم أن الإسلام هو الدين الوحيد الصحيح واحترم عقيدة كل ذي عقيدة، مع يقينه أنها باطلة، فهذا يبرهن على قبوله التعايش السلمي وليس العكس، فلو كان معتقدا بصحة غير الإسلام لاتخذه دينا، ومن ثم قبول التعايش المختلفين في الدين دليل على حسن الفهم لاختلاف الأديان، وإلا اعتنقوا دينا واحدا، ومن ثم ما معنى الاختلاف الذي نبحثه إذا ونقيم من أجله تعايشا سلميا؟!

فالواجب على صاحب العقيدة أن يعتقد بصحتها حتى تكون هي ذاتها وسيلته في فهم الآخر وفي التعامل معه، ومن ثم يمكنه وفق عقيدته وعقيدة غيره وضع قواعد للتعايش على أساس سليم، فكما أن تعلم الترجمة لابد أن يسبقه إتقان المترجم للغته الأم وإلا كيف يترجم إليها ومنها؟ فلابد كذلك أن يحسن كل معتقد عقيدته لتصبح مقياسا ومعيارا يحتكم إليه ويُلتزم به ثقافيا واجتماعيا، ثم على أساسه يبدأ التعارف مع الغير، ثم يقام التعايش على أساس سليم وعلى منهج قويم.

ومن هذا المنطلق، فالمسلمون يؤمنون أن الدين عند الله هو الإسلام دينهم وعقيدتهم ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[١]، ولما كان الإسلام هو دين الله المتفق عليه بين جميع الأنبياء مع شرائع مختلفة، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢]، ولما كان الإسلام كذلك طريق واسع يذهب فيه الناس وبه إلى معرفة الله ومراده من خلقه سهل التقارب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: { أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّات، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ}[٣]. ولو قال يهودي أو نصراني أن دينه قريب من دين المسلمين لصح قوله، وكان بمثابة وسيلة تقارب وفهم وليس وسيلة صراع وحرب.

وكل مسلم كونه مسلما يعتقد بأن الإسلام نسخ كل الشرائع السابقة عليه، ومن ثم يعتقد كل مسلم صحيح الإسلام بعدم صحة إيمان من بلغته رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن بها[٤]. ولم يشذ أحد من علماء المسلمين في اعتبار اليهود والنصارى مخالفين لدين محمد صلى الله عليه وسلم[٥]، فلو لم يخالفوا دين محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون مساحة الاتفاق بين دينهم ودينه لأصبحوا في تواد وتعارف وتعايش أكثر بكثير مما هم عليه اليوم، ومع أن ابن حزم رحمه الله ينص على اتفاق علماء أمة محمد على مخالفة اليهود والنصارى لدين الإسلام[٦] إلا أن مخالفتهم تلك لا تمنعهم من التعايش وحسن التجاور معهم.

---

[١] سورة آل عمران، آية ١٩.

[٢] سورة المائدة آية ٤٨.

[٣] صحيح البخاري، حديث رقم ٢٣٥٩.

[٤] ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوي، تحقيق، عامر الجزار، وأنور الباز، دار الوفاء، ج١٢، ص ٤٩٦.

[٥] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٣٥، ص ٢٠١.

[٦] ابن حزم الظاهري، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية، –بيروت. ص ١١٩.

فنصوص القرآن ملأى بالتودد إلى أهل الكتاب ومحفوفة بالنداء الحاني عليهم ومن ذلك آيات سورة آل عمران التي تبدأ بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[١]، فهذه الآية وشبيهاتها الكثير تدعو إلى التعايش مع من أنكر رسالة محمد صلى الله وسلم في جو من التعارف والتعايش الآمن، بل لم أقع على نص واحد للنبي صلى الله عليه وسلم في جميع كتب السنة الثمانية يقول فيه وهو يخاطب إنسانا يا كافر، خاصة من أهل الكتاب، بل وخطاب القرآن ذاته جاء غالبا بالنداء يا أهل الكتاب، وإن كان الخطاب العام (أيها الكافرون) لا يُعد لغة سب، بل هي لغة تمايز، فلو زعم اليهود والنصارى كفر أمة محمد لعدم اعتناقهم عقيدتهم فهم محقون في الوصف ولا يُعد هذا سبا في دين المسلمين، فكذلك اليهود والنصارى الذين لا يعتقدون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهم ليسوا مؤمنين بالإسلام كاملا وهذا لا يمنع المسلمين من حسن معاملتهم وحسن التعايش معهم.

وينص علماء المسلمين سنة وشيعة على أن "الدين الإسلامي لا يقبل فرض المعتقد والدين على الآخرين حتى بدعوة الهداية والإرشاد، لذلك لا يقبل أن يتم التبليغ للإسلام والدعوة إليه في جو من العداوة والإضرار بالآخر[٢]، فكيف يضر الآخر من يبحث عن نفعه؟ وكيف يضر بجيرانه وهو مفروض عليه نفعهم، لكن التمايز يعطي فرصة للناس في الإفادة بعضهم من بعض، فيستفيد الأحسن من الأدنى بالسير في ركابه أن أحب ذلك دون إكراه، ويستفيد الأعلى من الأدنى في مراجعة أفكاره، ويتهم نفسه بأنه؛ إما لم يحسن فهمها، وإما هي ليست الأحسن، وإلا لماذا لم يعتنقها المخالف أو يرى فيها نفعا؟ وهذا من أحسن ثمرات التعايش.

---

[١] سورة آل عمران، آية ٦٤.

[٢] مجموعة باحثين؛ باحث دكتوراه سيد حسام الديني حسيني كيا ود سيد حسن عابديان ود أحمد مادخاني، التعايش السلمي في ضوء القران الكريم وسيرة النبي الأكرم بحث بمجلة آداب الكوفة العدد ٤٥، ربيع الأول ١٤٤٢هـ، ج١، ص ٥٤٤.

ثالثا: التنظير دون التطبيق من أخطر ما يهدد التعايش السلمي

أسوأ ما نجده في هذا الباب التنظير المخالف للممارسة والتطبيق، وحدث هذا بين فرق المسلمين أنفسهم، فالشيعة وهم مسلمون يذهبون إلى أن العصبية تقف حائلا عن التعايش السلمي ومع ذلك هم يجعلون الأئمة في مقام فوق مقام البشر، وكذلك ذريتهم صالحة كانت أو طالحة، فينقل الباحثون الشيعة عن أهم رواتهم وهو الكليني هذه الرواية "من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية[١]، وينقلون كذلك عن المجلسي من أعيان الشيعة حديث للنبي صلى الله عليه وسلم" إن أكرمكم عند الله أتقاكم" ثم بعد ذلك ينقلون أن من أهم أسباب التعايش عدم سب المخالف وهذا لعمري جيد مقبول محمود، لكن العجيب أن من عقيدة الشيعة الفاسدة والمفسدة للتعايش مع إخوانهم من المسلمين سب كل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وينقل ثلاثة من الباحثين الشيعة عدم جواز سب المخالف بعد تفسيرهم لآية الأنعام[٢] ثم نجد أعمال الشيعة تناقض هذا جذريا، فلا تفتح مذياع شيعي ولا تلفاز لهم إلا وسب الصحابة شيء تقشعر منه الأبدان.

ومع أن نصوص الشيعة المعاصرين تعج باحترام حقوق الأقليات، لا يوجد حتى اليوم في دولة الشيعة الرسمية؛ إيران مسجدا جامعا للسنة في طهران عاصمتها[٣]، فإذا كانوا لا يتحملون إخوانهم في الدين، فكيف يتقبلون الآخر؟ خاصة لو حكموا بلادا أغلبها ليسوا مسلمين! كيف يكون الحال؟! وفعل إسماعيل الصفوي[٤] في إكراه العباد على دين لا يؤمنون به من أبشع صور

---

[١] مجموعة مؤلفين، التعايش السلمي في ضوء القران الكريم وسيرة النبي الأكرم، ج١، ص ٥٣٨.

[٢] مجموعة باحثين، التعايش السلمي في ضوء القران الكريم وسيرة النبي الأكرم، ج١، ص ٥٤٩.

[٣] مجموعة مؤلفين، التعايش السلمي في ضوء القران الكريم وسيرة النبي الأكرم، ٤٥، ج١، ص ٥٥١.

[٤] ينقل كامل مصطفي الشيبي عن التاريخ الدموي لإسماعيل الصفوي ما تشيب له الولدان، فكان إذا فتح مدينة يفرض على أهلها التشيع بالسيف وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وسيلة لامتحان الشعب فمن يسمع السب يجب أن يهتف "بيش بادكم باد" هذه الجملة تعنى بلغة أذربيجان أن السامع يوافق ويطلب المزيد، أما إذا امتنع قطعت رقبته حالا: انظر الشيبي،

عدم التسامح في تاريخ المسلمين، وللأسف يختفي الشيعة وراء التقية باسم المداراة فيقولون "أعقل الناس أشدهم مداراة للناس وأذل الناس من أهان الناس"[١]، فالدين الحق لا يختفي خلف التقية بل يعبر فيه المؤمن عن رأيه بكل شجاعة يغلفها الأدب والذوق وهذا مطلبنا من التعايش.

فالمسلمون وإن كانوا لا يكرهون أحدا على الدخول في دينهم كما بيننا سابقا، إلا أنهم في الوقت ذاته يعبرون عن عقيدتهم بكل وضوح وجلاء، وهذا سر بقاء الإسلام صافيا إلى اليوم في رأي الباحث، فلو تُرك الإسلام للعمل السري لضاع كما ضاعت النصرانية، التي جمعت نصوصها سرا فلم يستطع النصارى حتى اليوم إثبات تاريخ الأناجيل وكيف نقلت إليهم، مما تسبب في نقد شديد للأناجيل[٢]، فالمسلم لا يكره أحدا على اعتناق دينه حتى في وقت القتال، ولو استعجل مسلما وأسر محاربا ثم جاء ذلك المحارب يقول إني كنت أطلب الأمان، يؤخذ بقوله ولا يُعد محاربا[٣]، وكذلك لو ادعي وهو في ديار المسلمين أنه رسول لم يجز التعرض له "فإذا دخل حربي دار الإسلام بغير أمان، وادعى أنه رسول قُبِل منه, ولم يجز التعرض له"[٤]؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم لرسولي مسيلمة: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما"[٥].

د.مصطفى كامل، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، مكتبة نهضة مصر، ط٣، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص١٣.

[١] الفيض الكاشاني، ص ١٥٨، نقلا عن بحث: التعايش السلمي في ضوء القران الكريم وسيرة النبي الأكرم، ج١، ص ٥٤٣.

[2] **Ernest Renan, Vie de Jésus, ed. Michel levy Fréres, dixéme edition,paris, 1863, et aussi voir, Ernest Renan L'*Histoire des origines du christianisme* est une vaste fresque de huit volumes de l'historien et philologue publiée entre 1863 et 1883.**

[٣] الشيباني، محمد بن الحسن، شرح السير الكبير، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، ت: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج٢، ص ٩٣.

[٤] ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ج٤، ص ٣٣٣.

[٥] تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٥١٧، والحديث رواه أبو داود ح (٣٧٦٢).

وهذه صورة من صور احترام رسل العدو مع كونه محاربا، فكيف بالمسالم؟! فالتعايش يتوافق مع مصطلح المداراة ويتنافى مع مصطلح المداهنة، فالمداهنة والتقية هي في الأساس نوع من النفاق والكذب والتدليس، والمداراة كما جاء في فتح الباري لابن حجر العسقلاني مندوب إليها، أما المداهنة فمحرمة؛ لأن المداهنة إظهار الرضا بما هو باطل، والمدَاراة هي الرفق مع المختلف فيه ولا سيما إذا احتيج إلى التآلف والتعايش[١]، وذهب الإمام القرطبي إلى "إن المدَاراة: بذل الدنيا لصلاح الدين، أو لصلاح الدين والدنيا، وهي مباحة وقد تصبح مستحبة، أما المداهنة فهي ترك الدين لصلاح الدنيا[٢]، ومن ثم المداراة وسيلة تحبب وتقرب لمن يتعايش مع المسلم في حين أن المداهنة تدليس وغش وكذب لا يقبله عقل المؤمن الشجاع، إنما هي خسة للجبان ينفر منها صاحب الدين، وإن قبلت اضطرارا لأفراد من العوام تحت سطوة السيف، فلا تقبل بأي حال لأهل الرأي ولحملة العلم وقادة الأمم، إنما التقية المحمودة هي اتقاء ظلم ظالم تجاه عوام الناس وضعفاء الإيمان من العوام ولا يمكن أن تقوم للإسلام قائمة وعلماؤه يعملون بالتقية.

من هنا فالمداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذم، فالمداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده عن الباطل، والمداهن يقر من هو على الباطل على باطله لذا هي نوع من أنواع النفاق[٣]، والمداهنة إظهار الموافقة لحظ في النفس، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٤]، فهنا طمع القريشيون في أن يستميلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لكيلا يسب آلهتهم ولكي

---

[١] ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٠ص ٥٢٤.

[٢] ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٠ص ٤٥٤.

[٣] ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ،١٩٧٥م ص ٢٣١.

[٤] سورة القلم آية ٩.

يقبل فساد عقيدهم، وفيما بعد بين النبي صلى الله عليه وسلم أثر المداهنة[١] في ضياع المجتمع كله وهلاك كل من فيه.

رابعا: من المعوقات المزعومة مسألة الولاء والبراء

من أهم الضوابط العقدية الفهم الصحيح لمسألة الولاء والبراء على وجه صحيح دقيق، فالولاء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بلا ريب هو من أهم فروع العقيدة التي تتشابك جوهريا مع أصول العقيدة الإسلامية؛ التي بينها حديث جبريل عليه السلام، وكما أن الأصول لا تمنع حسن التعايش كذلك كل الفروع ومنها بلا شك مسألة الولاء والبراء.

قد ذكرنا في تمهيد هذا البحث موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة–رضي الله عنه[٢]، وفي قصة الإفك المشهورة رأينا كيف أوّلت أم المؤمنين حمية سعد بن عبادة رضى الله عنه عندما قالت: "احتملته الحَمِيَّة"[٣]، وروت رضى الله عنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَات عثراتهم إلا الحدود"[٤] ومن ثم فهذه الأخطاء ومثيلاتها لا تُعد بابا من أبواب الكفر إلا عند أحادي التفكير قاصري النظر، وليست من باب الولاء الذي يخرج صاحبه من الإيمان بحال، وإلا ارتضينا في نبينا صلى الله عليه وسلم المجاملة في باطل حاشاه، ولأن ذلك قد يكون هفوة أو زلة من المسلم وليس من ثوابت فعله، ومن هنا أجاز علماؤنا قتل الجاسوس وإن كان مسلما مراعاة للمصلحة العامة، لكن قتله هذا لا يعني أن نقطع له بالنار، فقد يفوز بالجنة لكونه لم يتعمد أو لم يحسن فهما، وأن

---

[١] والحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "مثل الْمُدهِنِ في حدود الله والواقع فيها، مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمرّون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذّوا به، فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا ما لك قال تأذيتم بي ولا بد لي من الماء فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم" انظر: صحيح البخاري ح (٢٥٤٠).

[٢] أراد عمر رضى الله أن يضرب عنقه فقال النبي ﷺ: إنه شهد بدرا، والحديث في صحيح البخاري برقم (٤٢٧٤).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب المغازي / باب حديث الإفك / برقم (٣٩١٠).

[٤] مسند الإمام أحمد حديث رقم (٢٥٥١٣) وفي سنن النسائي حديث رقم (٧٢٩٣).

الأخطاء الجسيمة ما لم تكن شركا تمحوها الحسنة[١] والله غفور حليم، بل قد يؤول[٢] المسلم مسألةً فيخطئ فلا يمنعه ذلك من أن يكون من جملة المؤمنين الذين يبعثون على نياتهم الصالحة إن كانت صالحة.

فكما جاء في حديث أم المؤمنين رضي الله عنها لما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجيش الذي يخسف بأوله وأخره قالت: "وفِيهِم أَسواقُهم، ومَن ليسَ مِنْهُم يا رسول الله"، فقال صلى الله عليه وسلم "يبعثون على نياتهم يا عائشة"[٣]، ومن هنا "وليس لأحد أنْ يكفر أحداً مِن المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة "[٤] وهكذا يكون الأمر جلي أن هناك ولاءات ستنشأ رغم ثبات العقائد في القلوب بين غير المؤمنين ولكنها ولاءات وطنية حياتية مقبولة.

وليست هذه الموالاة مدعاة لتكفير فاعليها، بل يجب النظر في غايات هؤلاء ودواعي هذا الولاء مع غير المؤمنين، فإن كان ولاء لا ينتقص العقيدة ولا يساوم في الإيمان ولا يخرج من الملة فيُحمد على أنه تعايش سلمي راقي، وإن حمل صاحبه على الاستهزاء بدينه أو عقيدته أو التفريط في مقتضياتها يصبح بلا ريب استبدال للدين بعقيدة من تولاه وعايشه، ويصبح مؤمنا برؤيا من ادعى أنه يعايشه، ومن ثم يشاركه المعتقد والدين وليس مجرد توافق معه في معطيات الاختلاف بل يتفق معه في مجريات الاتفاق في الدين والملة، وهذا تغير للدين وليس إزكاء لروح التعايش ولم نجد أحد يتبنى هذا الفهم من المفكرين المسلمين بل ولا غيرهم على أنه تعايش سلمي.

---

[١] ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٣، ص٤٣٤.

[٢] ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم، مجموعة الفتاوى، ج٣، ص ٢٨٣.

[٣] صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، حديث رقم (٢٠١٢).

[٤] ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، ج١٢، ص ٤٦٦.

فإن كانت العقيدة تقر مبدأ التعايش وفق قول الله تعالى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾[١]، وتقر بأنه لا يجوز لأي مسلم تحقير والاستهزاء بعقيدة المخالف لمجرد أنه مخالف بلا سبب أو عداوة لأن الله حرم ذلك: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٢] فلا يجوز لغير المسلم أيضاً أن يحقر عقيدة المسلم ويحرمه حقه في التعبد بالطريقة التي نص عليها دينه؛ فكما احترم المسلم اختيار المخالف لعقيدته التي يعتقد ببطلانها وجب على المخالف أيضا احترام اختيار المسلمين لعقيدتهم واحترام ممارستها سواء في العبادة والمعاملة أو السلوك.

ومن هنا ينشأ مفهوم صحيح –في رأينا– للولاء والبراء، فليس الولاء إحداث محبة للأشخاص بذاتهم ولا البراء هو زرع كره للأشخاص بذواتهم، بمعنى لو تولى أحدنا أخاه، فموالاته له ليست فقط للمحبة الفطرية، بل أيضا لأفضاله المادية والمعنوية، وكلما كان صالحا زادت المحبة لزيادة أفضاله وزيادة صلاحه، ومن ثم لو كان جار المسلم مخالف له في الدين، فلا أشك أنه يكره له الكفر ويحب له الإيمان، ويحزن لكونه لم يصل إلى الإيمان الصحيح الذي استمتع هو بتجلياته، وفي ذات الوقت يعلم أنه ممنوع من إيذائه أو إلزامه بما لم يؤمن به، بل لا يجوز تكرار الجدل المفضي للأحقاد والذي يزرع الضغينة بين الجيران، فيلزم الجميع الحوار بالتي هي أحسن.

فمن باب الولاء الحقيقي للإنسانية تألم المؤمن لجاره غير المسلم فأرشده إلى الخير الذي اعتقده خيرا، كما أن شعوره بالمسؤولية، جعله يبرأ إلى الله من تقصيره في حق أخيه وجاره، فأبلغه الخير الذي يراه، ثم يظل رجاؤه الخير له فقد يعاوده في الحوار، لكن بأطيب مشاعر وأحسن كلام، وفي الوقت ذاته يصرح له بأنه مجبر –بذات العقيدة التي تحركه خوفا عليه– ألا يُلزمه شيئا وأنه ملزم بالبر به والقسط معه خوفا من عقاب الله الذي خلقه ومنحه حرية أن يؤمن به تعالى أو لا يؤمن (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

---

[١] سورة الكافرون، آية ٦.

[٢] سورة الأنعام آية ١٠٨.

مع إعلامه أنه لا يملك له شيئا، ولا يعلم الغيب بل ولا يملك هو مصير نفسه ولا مصيره، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فبهذه الروح يكون المؤمن متعاطفا مع جيرانه غير المسلمين وودود معهم شديد الود وفي ذات الوقت حريص على هدايتهم شديد الحرص، لكن في الحالتين بارا بهم ومقسطا معهم، فهل من عقيدة تدعو لهذا التعايش بكل هذا البر وبكل تلك المساحة من رحابة الفكر؟

أما البراءة ممن حارب الله ورسوله واستهزأ بدين المؤمن ومشاعره، فلا يملك أحد أن يلزمه محبة من يؤذيه ولا يطلب منه أن يشكره على إيذائه، وكذلك لا أحد يلومه في البراءة ممن خان الله ورسوله ولو تسمى بالإسلام، إذا هي براءة قلبية في الأصل من سيء الأعمال وليس من ذوات الدم واللحم التي تمثل الأشخاص، بدليل أن الطبيب المسلم ملزم شرعا بمعالجة من يبرأ إلى الله منه، كما يعالج من يتولاه وهذا مطرد في جميع الأعمال التي لم تحرم في شريعة الإسلام.

فالقاعدة هي فهم مدلولات الولاء والبراء بشكل دقيق وواضح لا مجاملة فيه ولا مداهنة معه، ولا قبول للعمل بمفهوم التقية والاستضعاف والكذب والغش والتدليس، وفي ذات الوقت لا يعيش المؤمن بروح المتقوقع على ذاته الكاره لغيره لمجرد الاختلاف في الدين والعقيدة.

خامسا: من المعوقات التطبيق العملي للمسلمين

وقد يزعم بعض الناس أن من معوقات التعايش التطبيق العملي للمسلمين، خاصة ما نراه من صور منافية للتعايش يبديها كثير من المسلمين، ونحن بادئ الأمر نعترف بوجود هذه الصور في حوارات بعض من تسمى بالإسلام، فنجد الغليظ فاحش اللسان قبيح المنظر سيء الخلق واسمه محمود أو علي، لكن في الوقت ذاته أتحدى أن نجد أمة صافية لا يكدرها جهل جاهل وحمق أحمق خاصة من عوام الأمم، لذا نعول على عقلاء الأمم وسادات الدول وخواص أهل العلم، في فهم أنه: أولا القياس على هذه الحالات في أساسه باطل، ثم بذات القياس أرجو أن يقاس نسبة من يسيء للآخرين من المسلمين بمن يسيء من أي دين آخر، ستكون النتيجة حتما خلافا لما يتخيله أكبر الحاقدين على

الإسلام؛ وذلك لأن المسلمون في الأغلب يعملون بدينهم ولما كانت نصوص الإسلام لا تقبل السوء من المسلم ستصبح نسبتهم ضعيفة ولا تقارن بنسبة أي دين آخر.

فقد سردنا في طيات هذا البحث صورا من تسامح النبي صلى الله عليه وسلم مع مخالفيه من يهود ونصارى ومشركي العرب، وسردنا عشرات من هذه النصوص في هذا البحث فلا داعي لإعادتها فقط نذكر بأنه كان يتصدق على الفقراء منهم ويعود المريض من أهل الكتاب كما جاء في حديث البخاري[١]، ومن ثم يكون السلم هو الأصل في التعامل بين الناس وأن حالة الحرب تكون حالة استثناء تلزمها ظروف معينة.

وحتى في حالة الحروب هذه لا يجوز للمحاربين من المسلمين قتل من يقع في طريقهم من الأطفال والنساء والمسالمين، ووفق هذا عهد الخليفة عمر بن الخطاب لأهل القدس من النصارى حرية عبادتهم [٢]، وسلوك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في مدينة القدس قد أثار انتباه كثير من المفكرين الغربيين فكتب بعضهم يصف "مقدار الرفق العظيم الذي كان يعامل به العرب الفاتحون الأمم المغلوبة والذي ناقضه ما اقترفه الصليبيون في القدس بعد بضعة قرون مناقضة تامة[٣]، ولم يكن سلوك عمرو بن العاص بمصر أقل من ذلك، لذا رضي المصريون طائعين شاكرين بهذه الشروط بل أحبوا الفاتحين وأقبلوا

---

[١] صحيح البخاري، حديث رقم ٥٦٥٧ حيث يعود النبي صلى الله عليه وسلم غلاما كان يخدمه من اليهود، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١٠ ص ١١٩.

[٢] وهذا نص عهد عمر رضة الله عنه لهم "بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أن لا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين" انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥ ج٢، ص٤٤٩.

[٣] غستاف لبون، حضارة العرب، ص ١٤٣

على اعتناق الإسلام لما رأوه من العدل المطلق"[١]، وهذا ليس من عند عمر ولا من عبقرية عمرو بن العاص رضى الله عنهما،

إنما هذه ممارسة ناجحة منهما ومن غيرهما لضابط أساسي في النصر والتمكين تعلموه من القرآن الكريم وفهمه العلماء المسلمون ودشنوه محبرا في كتبهم عبر العصور ولخصه شيخ الإسلام في هذه العبارة: " إن الله يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرة ولا يقيم الدولة الظالمة لو كانت مؤمنة"[٢]، وكل ذلك فهمه المسلمون في كل جيل وعصر من قول الله تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣] فهذا مفهوم أساسي وضابط لا مفر منه للتعايش قد أمر الله به من قبل عبقرية الصحابة ومن قبل أن يوجد العلماء المتبصرين.

سادسا: من المعوقات المزعومة: مسألة قتل المرتد وخاصة قتال أبوبكر رضى الله عنه للمرتدين

بعيدا عن الخلاف بين المسلمين في فهم من هو المرتد الذي يقتل، فظاهر من مسألة قتل المرتد أنه يقتل من باب سياسي وليس باب عقائدي، والدليل واضح جدا في قتال أبي بكر رضى الله عنه للمرتدين، فقد فهم عمر رضى الله عنه فهما عقائديا حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أُمِرتُ أن أقاتلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"[٤]، ومن هذا الباب حاجج عمر أبابكر، لكن فقه أبي بكر رضى الله عنه السياسي هداه إلى أن المسألة ليست فقط عقيدة، بل هي مسألة وحدة دين كامل (عقيدة وشريعة وأمة)، ومن وحدة الأمة وحدة العمل وهؤلاء المرتدون بردهم لزكاة المال التي كانوا يؤدونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد فرقوا وحدة جماعة المسلمين فيقاتلوا إذا قتال المرتد عقيدة، وهو مفهوم

---

[١] المرجع السابق ص ١٤٤.

[٢] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ج٢٨، ص ١٤٦.

[٣] سورة المائدة، آية ٨.

[٤] سنن الترمذي، حديث رقم (٣٣٤١)

سياسي عميق تستخدمه كل النظم السياسية بلا استثناء، ومفاده أن الخيانة العظمى هي مخالفة المتفق عليه في طيات الجماعة السياسية والذي يؤدي حتما إلى فنائها وشرذمتها، وهذا هو مبدأ الصديق لما أصبح خليفته أضحى واجب عليه حماية مجموعة من المبادئ الكبرى التي تبرهن على تمام الوحدة ومنها الصلاة والزكاة فمن فرق بينهما فقد شرذم الأمة وقطع وحدتها فهو كالمرتد عقيدة وإيمانا لذا وجب قتاله.

وقد يجر هذا إلى القول لماذا لم يقاتل النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين وهم مرتدون عقيدة؟ بل تعامل مع المنافقين وهم بلا شك أخطر من مانعي الزكاة، وإجابة هذا الأمر أن المنافقين لم يظهروا شيئا من هذا النفاق وحتى من أظهر النفاق كعبد الله بن سلول رفض النبي صلى الله عليه وسلم قتله، وذلك لسببين في رأيي، أولا، حتى لا يفتش المسلمون بعض وفاته صلى الله عليه وسلم في قلوب من يتعايش، فأصبح من هنا غير جائز في شريعة الإسلام أن يحكم على إنسان بشيء في قلبه لم يعلنه، ثانيا، حتى لا يقال أن محمد يقتل من يصاحبه حتى لو كان على غير دينه بل سماه من أصحابه وهو يقينا ليس صحابيا وليس مؤمنا[١]، فخطورة أمثال ابن سلول تبقى غائبة عن الشاهد والدليل، في حين إعلان مانعي الزكاة هو شق لصف المؤمنين وتقسيم لأصول الدين وتفريق بين أهم مبانيه الصلاة والزكاة وهذا ليس من التعايش السلمي.

ويذهب ابن حجر رحمه الله إلى أن اختلاف أحكام التآلف مع المنافقين يتناسب مع مدى الخطورة منهم، لهذا كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مستضعفين وليس من ورائهم خطر، في حين أنهم جمعوا قوتهم بعد وفاة النبي بمنعهم الزكاة فوجب قتالهم، ويذهب ابن حجر إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتآلف ويقبل من يُظهر له الإسلام ولو ظهر منهم احتمال خلاف ما كانوا يظهرون، أما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فمن أظهر شيئا فإنه

---

[١] البخاري ح(٤٩٠٥)

يؤاخذ به ولا يترك لمصلحة التآلف[١]، وهذا إن دل فإنما يدل على فهم عميق من العلامة ابن حجر، حيث يُفهم من كلامه قبول الآخر حتى لو كان منافقا بشرط ألا يحدث ضررا، ومعلوم أن النفاق أشد خطرا في التعامل من المخالف في الدين؛ لأنه قد يدلس ويدخل في الدين ما ليس فيه ومع ذلك يقبل التعايش معهم في حالة أمن الفتنة، وهذا ما فعله صلى الله عليه وسلم مع المنافقين، فمع أن وجود هؤلاء المنافقين ليس بالأمر الحسن، لكن قبل الحبيب صلى الله عليه سلم ذلك ليعلمنا كيف نوطن أنفسنا كأمة كبيرة يصعب أن تصفو من كل كدر ومن ثم نتعايش في الحدود الدنيا التي يفرضها الواقع.

إذا الشرط الوحيد هنا هو (أمن الفتنة) التي تعصف بالأمة؛ لأنه حينها سيكون مجرد رأي شاذ وتيار ضعيف لن يغير مسيرة الأمة ولا طريقها الأسمى، يقول ابن بطال: "إنما كانوا شرا ممن قبلهم لأن الماضين كانوا يسرون قولهم فلا يتعدى شرهم إلى غيرهم"[٢]، أما الذين خرجوا في الفتنة بعد ذلك فقد جهروا بالنفاق وشهروا السلاح على الناس وهذا مخالف لأصول التعايش ومن ثم وجب قتالهم لردعهم عن غيهم بل من أجل التعايش ذاته، الذي هو أمن البلاد وحماية الأرواح ومعاونة ذوي الحاجات ومن ثم الإفادة والاستفادة بين المتعايشين.

---

[١] وهو قول حذيفة بن اليمان رضى الله عنه: "إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون"، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١٣ ص ٧٤، وذلك في شرحه حديث رقم (٧١١٣).

[٢] ابن حجر، فتح الباري مرجع سابق ج١٣ ص ٧٤.

خاتمة وأهم النتائج

حاول هذا البحث أن يعمل على بناء أسس وضوابط يمكن الاتفاق حولها، وذلك لكي نوجد تعايشا سلميا يتناسب مع تداخل المجتمعات المعاصرة التي لم يعد بينها فواصل بسبب التطور التقني الهائل، ومنذ البداية تم رفض إقامة تعايش على أسس واهية وهي الإكراه والرضى بالواقع، أو إقامة تعايش على التدليس والكذب والمداهنة، وأثبتنا أن التعايش كان هو سمة الشعوب منذ العهود الأولى للبشرية لكن حدث خلل في العصر الحديث مع ظهور الدولة القومية والتعصب لها، وأن فكرة المواطنة غدت تشكل ضغطا على الموروثات الثقافية والاتجاهات الفكرية والعقائد الدينية وكذلك على الأجناس والأعراق، فحاولنا أن نشرح أن التعايش لا يعني إلغاء الخصوصيات التي تأتي من هذه النواحي خاصة الدينية منها.

كما بيننا أن نصوص الإسلام وما أنتجه العقل والفكر الإسلامي حولها من شرح وبيان وممارسة لا يعارض في إيجاد تعايش واضح، يعلن فيه أصحابه عن عقيدتهم بل ويمكنهم التبشير بمحاسنها بشرط عدم الإضرار بالآخرين وعدم تسفيه عقائدهم أو سب معبوداتهم، فبدا واضحا أن المستفيد الأكبر من التعايش السلمي هو مجموع الشعوب التي سوف تلتحم بعضها ببعض فيفيدون ويستفيدون بتبادل الخبرات وتقوية أواصر التعاون بينهم.

وتم بحث المعوقات التي يدعيها بعض الدارسين لتعايش المسلمين بغيرهم وثبت أن معظمها مزاعم أكثر منها معوقات حقيقة، وبيننا موقف علماء المسلمين منها، ودللنا على أن هذه المعوقات لا ترقى أن تكون إشكالية في الأساس، وفي نهاية هذا البحث نزعم أننا استنتجنا عددا من النتائج كان من أهمها الآتي:

- من أهم أسس التعايش احترام حرية الآخرين وعدم المساس أو الاستهزاء بعقيدتهم وخصائصهم الحضارية وسماتهم الثقافية.

- التعايش السلمي يسمح بتبادل الأفكار في جو من الحرية ويستفيد منه كل الأطراف في مراجعة أفكارهم وغربلة تراثهم وهذا يصنع نوعا من التلاقح الفكري المثمر بين الشعوب.
- التعايش السلمي يعد بابا من أبواب المجاهدة في سبيل إيصال الخير للناس وفتح باب جديد من العلاقات المميزة من البر وحسن التعامل والمشاركة الوجدانية للمتعايشين.
- التعايش السلمي لا يعني المداهنة في الدين والكذب والتدليس لإرضاء أصحاب العقائد المختلفة والثقافات السائدة في مجتمع ما.
- التعايش السلمي لا يدعو لمحو الخصوصيات الثقافية ومحو التمسك بقيم مختلفة يؤمن بها بعض المتعايشين في إطار الحوار.
- الإسلام وقواعده يمكن أن يكون وسيلة للتعايش ببناء أرضية مشتركة صنعها الإسلام عقيدة وشريعة مع مخالفيه فكرا وممارسة عبر الزمن.

ثبت المراجع والمصادر

أولا: المراجع باللغة العربية والمترجم إليها

- ابن القيم شمس الدين، إعلام الموقعين تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- ابن القيم شمس الدين، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ،١٩٧٥م.
- ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت ط٢، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
- ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله، أحكام أهل الذمة، تحقيق، يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم، الدمام، السعودية، ط، ١٤١٨هـ.
- ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢ ١٤١١هـ.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥ه.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوي، تحقيق، عامر الجزار، وأنور الباز، دار الوفاء، د.ت
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن على، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت لبنان، د.ت.
- ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، ت: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، د.ت.
- ابن حزم الظاهري، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.
- ابن حنبل الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

- ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم د. محمود قاسم ، ط٢، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٤م.
- ابن سعد أبو عبدالله محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط١، ١٩٦٨م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق العلامة: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني في فقه الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥ه.
- ابن قدامه عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، د.ت.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢،١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م.
- ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت.
- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت.
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٣، ١٣٨٢ه.
- إلهي ظهير، إحسان، الشيعة والسنة، الناشر إدارة ترجمان السنة، ط٥، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
- الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق، د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ط٣، ١٤٠٧ه.
- الإمام مسلم، صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت، مع دار الأفاق الجديدة، بيروت.
- بديوي، يوسف على، تهذيب السيرة النبوية لابن هشام، ط١، اليمامة، دمشق، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- بركات، نظام، وآخرون، مبادئ علم السياسة، دار الكرمل، ط٣، الرياض، ١٩٨٩م

- البوطي، د. محمد سعيد، فقه السيرة، دار الفكر المعاصر، بيروت ط١١، ١٩٩١م.
- البيهقي أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.
- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- حسون، د. على، الإنسان الكامل عند إقبال، مطبوع ضمن كتاب مؤتمر عام ١٩٨٥م عن محمد إقبال، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.
- السايح، أحمد عبد الرحيم، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة ٢٠٠٧م.
- السقار، منقذ بن محمود، التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، ط١، رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة ١٤٢٧،٢٠٠٦م.
- سلام، أبي عبيد القاسم، كتاب الأموال، تحقيق خليل هراس، دار الفكر بيروت، د.ت.
- السموأل بن يحي المغربي، إفحام اليهود، تقديم وتحقيق د. محمد عبد الله، الشرقاوي، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ.
- الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الاعتصام، تحقيق سليم الهلالي، دار بن عفان، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٢هـ، ١٩٢م.
- الشوكاني، محمد بن على، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الناشر دار الفكر، بيروت، د.ت.
- الشيباني، محمد بن الحسن، شرح السير الكبير، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، ت: محمد الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- الشيبي، د. مصطفى كامل، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، مكتبة نهضة مصر، ط٣، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- الطبري، محمد ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٣٢٠هـ،٢٠٠٠م.

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، ط٥ بيروت، د.ت.
- عبد الحليم د. رجب، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م.
- العنزي، د. عبد ربه عبد القادر حسن الباحث بجامعة عزة، التعايش السلمي من منظور إسلامي، مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات، العدد الحادي والأربعين.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علو الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- غستاف لبون، حضارة العرب ترجمة عادل زعتر، الناشر مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م.
- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد، الفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق عمر حسن القيام، طباعة، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٣م.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
- الكبيسي، صبحي أفندي، وعبدالله حسن الحديثي، "الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي، مجلة مداد الآداب، العدد ٣.
- كريستيان، دولاكماني، الفلسفة السياسية اليوم، ترجمة نبيل سعد، طبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق على أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- مجموعة باحثين؛ باحث دكتوراه سيد حسام الديني حسيني كيا و د سيد حسن عابديان ود أحمد مادخاني، التعايش السلمي في ضوء القران الكريم وسيرة النبي الأكرم بحث بمجلة آداب الكوفة العدد ٤٥، ربيع الأول ١٤٤٢هـ،
- المصلح، عبدالله بن عبد العزيز، بحث أسس التعايش السلمي في الإسلام، مجلة الجامعات الإسلامية، عدد ٤١، ٢٠٠٧م.
- الندوي، أبو الحسن، السيرة النبوية دار القلم دمشق، ١٤٢٠هـ.

- وفاء، د. دريدي ود. على أجو، التعايش السلمي وآلية تكريسه، جامعة باتنة الجزائر، مجلة الدراسات الإسلامية والاجتماعية مجلد ٢ عدد ١٦، عام ٢٠١٩م.

ثانيا: المراجع باللغات الأجنبية

- Ernest Renan, L’Histoire des origines du christianisme est une vaste fresque de huit volumes de l'historien et philologue publiée entre 1863 et 1883.
- Ernest Renan, Qu'est-ce qu'une nation ? est une conférence donnée par Ernest Renan à la Sorbonne en 1882, et publié par Calmann Lévy.
- Ernest Renan, Vie de Jésus, ed. Michel levy Fréres, dixéme edition,paris, 1863.
- Nassar Mahmoud La pensée politique en rapport avec la religion chez Ernest Renan et Muhammad ʿAbduh : étude comparative, thèse du doctorat, Uni. Lyon3, 2004.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

- 'awla: almaraiie biallughat alearabiat walmutariim 'iilayha
- abn alqiam shams aldiyni. 'iielam almawqiein tahqiqa: muhamad eabd alsalam 'iibrahim alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut, altabeatu: al'uwlaa, 1411hi, 1991m.
- abn alqiam shams aldiyni, alruwha, dar alkutub aleilmiati, bayrut, 1395h,1975m.
- abn alqiami. shams aldiyn 'abi eabd allh muhamadi. 'iighathat allahfan min masayid alshaytan. tahqiqu: muhamad hamid alfaqi, dar almaerifati, bayrut ta2, 1395hi, 1975m.
- aibn alqiimi. shams aldiyn 'abi eabd allah muhamad. zad almuead fi hady khayr aleabadi, muasasat alrisalati, bayrut, 1415h.
- abn alqiami. shams aldiyn 'abi eabd allahi. 'ahkam 'ahl aldhimati. tahqiqu. yusif 'ahmad albakri washakir tawfiq alearuri, dar aibn hazma, aldamam, alsueudiati, ta, 1418h.
- abn tavmiata. dar' taearud aleaql walnaqli. tahqiqa: du. muhamad rashad salima. alnaashir jamieat al'iimam muhamad bin sueud al'iislamiati, tu2 1411hi.
- abn tavmiati. shaykh al'iislam 'ahmad bin eabd alhalimi. alfurqan bayn 'awlia' alrahman wa'awlia' alshaytan, maktabat dar albayan, dimashqa, 1405h.
- abn tavmiata. maimue alfatawi. tahqiqu, eamir aljazaar, wa'anwar albazi, dar alwafa'i, da.t
- aibn hajar aleasqalanii. 'ahmad bin ealaa. fath albari bisharh sahih albukharii, dar almaerifati, bayrut lubnan, da.t.
- aibn hazam alzaahiri. 'abu muhamad eali bin 'ahmadu. al'iihkam fi 'usul al'ahkami. t: 'ahmad muhamad shakiri, dar alafaq aljadidati, bayrut, lubnan, da.t.
- aibn hazam alzaahiri. maratib al'iiimae fi aleibadat walmueamalat waliaetiqadati, dar alkutub aleilmiati, bayrut da.t.
- abn hanbal al'iimam 'ahmadu. musnad al'iimam 'ahmad bin hanbal. ta: shueayb al'arnawuwta. eadil murshidi, wakhrun, muasasat alrisalati, ta1, 1421h 2001m.
- abn rushda. manahii al'adilat fi eaqayid almilati. taqdim du. mahmud qasim , ta2, maktabat al'anjilu, alqahirat 1984m.
- aibn saed 'abu eabdallah muhamad. altabaqat alkubraa, tahqiqu: 'iihsan eabaas, dar sadir, ta1, 1968m.
- abn faris. 'ahmad bin faris bin zakaria. maqayis allughati. tahqiq alealamati: eabd alsalam muhamad harun, dar alfikri, 1399hi.

- abn qudamata. eabd allh bin 'ahmad almaqdisi. almughaniy fi fiqh al'iimam 'ahmad abn hanbal alshaybani, dar alfikri, bayrut, ta1, 1405h.
- aibn qudaamuh eabd allah bin 'ahmad bin qudamat almaqdisi. alkafi fi fiqh al'iimam almubajil 'ahmad bin hanbal, alnaashir almaktab al'iislamia, bayrut, da.t.
- abn kathirin. 'abu alfida' 'iismaeil bin eumara. tafsir alquran aleazimi. ti: sami bin muhamad salamata, dar tiibat lilnashr waltawziei, ta2,1420hi, 1999 mi.
- abn manzur muhamad bin mukram, lisan alearabi, dar sadir, bayrut, ta1, da.t.
- 'abu hayaan altawhidii. al'iimtae walmuaanisatu, bayruta, almaktabat aleasriatu, 1432hi, 2011m.
- 'abu dawud sulayman bin al'asheath alsijistanii sunan 'abi dawud, dar alkutaab alearabii, bayrut.
- 'abu yusif. yaequb bin 'iibrahima. kitab alkharaji, almatbaeat alsalafiati, alqahirati, ta3, 1382h.
- 'iilahi zahir. 'iihsan. alshiveat walsunatu, alnaashir 'iidarat turjuman alsanati, ta5, 1397h, 1977m.
- al'iimam albukhariu. muhamad bin 'iismaeil. aljamie alsahihi. tahqiqu. du. mustafaa dib albugha, dar aibn kathir, alyamamat - bayrut ta3, 1407h.
- al'iimam muslima. sahih muslmi, dar aljili, bayrut, mae dar al'afaq aljadidati, bayrut.
- bidiwi. yusif ealaa. tahdhib alsiyrat alnabawiat liabn hisham, ta1, alyamamati, dimashqa, 1420hi, 2000m.
- barakatu. nizamu. wakhrun, mabadi eilm alsiyasati, dar alkirmal, ta3, alrayad, 1989m
- albuti. du. muhamad saeid. fiqh alsiyrati, dar alfikr almueasiri, bayrut ta11, 1991m.
- albayhaqi 'abu bakr albayhaqi. sunan albayhaqii alkubraa. tahqiqu: muhamad eabd alqadir eataa, maktabat dar albazi, makat almukaramati, 1414 ha- 1994m.
- altirmidhi. muhamad bin eisaa. aljamie alsahih sunan altirmadhi. tahqiqu: 'ahmad muhamad shakir wakhrun, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.
- hasuwn. da. ealaa. al'iinsan alkamil eind 'iiqbali. matbue dimn kitab mutamar eamin 1985m ean muhamad 'iiqbali, dar alfikri, dimashqa, 1986m.
- alsaavihi. 'ahmad eabd alrahim. majalat altarbiati, allajnat alwataniat alqatariat liltarbiat walthaqafat 2007m.
- alsaqari. munqidh bin mahmud. altaeayush mae ghayr almuslimin fi almujtamae almuslimi. ta1. rabitat alealam al'iislamii makat almukaramat 1427,2006m.
- salamu. 'abi eubayd alqasama, kitab al'amwali, tahqiq khalil harasi, dar alfikr bayrut, di.t.
- alsumaw'al bin yhi almaghribi. 'iifham alyahudi. taqdim watahqiq du. muhamad eabd allah. alsharqawi. tabeat alriyasat aleamat li'iidarat albuhuth aleilmiat walaifta' waldaewat walairshadi, alriyad almamlakat alearabiat alsaeudiat, 1407hi.

- alshaatibiu 'abu 'iishaq 'iibrahim bin musaa. aliaetisami. tahqiq salim alhalali. dar bin eafan, almamlakat alearabiat alsueudiati. eam 142hi. 192m.
- alshuwkani. muhamad bin ealaa. fath alqadir aliamie bayn fanivi alriwavat waldirayat min eilm altafsiri, alnaashir dar alfikri. bayrut. da.t.
- alshivbani. muhamad bin alhasan. sharah alsavr alkabira. muhamad bin 'ahmad bin 'abi sahl shams al'avimat alsarakhsi. ti: muhamad alshaafieii, dar alkutub aleilmiat bayrut, ta1, 1997m.
- alshivbi. du. mustafaa kamili. alfikr alshiveii walnazaeat alsuwfiati. hataa matlae alqarn althaani eashar alhijri, maktabat nahdat masri, ta3, 1406hi, 1986m.
- altabri. muhamad abn jirir. jamie albayan fi tawil alquran. t: 'ahmad muhamad shakir, muasasat alrisalat ta1, 14320h,2000m.
- altabri. muhamad bin jirir. tarikh al'umam walmuluka, dar alkutub aleilmiati, tu5 bayrut, di.t.
- eabd alhalim da. rajaba. antishar al'iislam bayn almaghul, dar alnahdat alearabiati, alqahirati, 1986m.
- aleinzi. da. eabd rabih eabd alqadir hasan albahith bijamieat eizat. altaeayush alsilmii min manzur 'iislami. majalat jamieat alquds lil'abhath waldirasati, aleadad alhadi wal'arbaeina.
- alghazaliu. 'abu hamid muhamad bin muhamadi, 'iihya' eulu aldiyn, dar almaerifati, bayrut, lubnan.
- ghistaf lbun. hadarat alearab tarjamat eadil zaetari, alnaashir muasasat hindawi, 2013m.
- alqarafi. 'abu aleabaas shihab aldiyn 'ahmadu. alfuruqu. 'anwar alburuq fi 'anwa' alfuruq. tahqiq eumar hasan alqiami. tibaeatu. muasasat alrisalati. ta1. 2003m.
- alqurtubiu. aliamie li'ahkam alquran. tahqiqu: hisham samir. dar ealam alkutubu. alrayad, almamlakat alearabiat alsueudiat. 1423 ha/ 2003 mi.
- alkbisi. subhi 'afindi. waeabdallah hasan alhadithi. "alwasayil alajtisadiat fi altaeayush mae ghayr almuslimin fi alfiqh al'iislamii. majalat madad aladab. aleadad 3.
- kristian. dulakamani. alfalsafat alsiyasiat alyawma. tariamat nabil saedi. tabeat eayn lildirasat walbuhuth al'iinsaniat walajtimaeiati, alqahirati, 2003m.
- alkilini. muhamad bin yaequba. alkafi. tahqiq ealaa 'akbar alghafari, dar alkutub al'iislamiati, tahran, ta3, 1409hi, 1989m.
- maimueat bahithini: bahith dukturah sayid husam aldivni husayni kia w d sayid hasan eabidian wud 'ahmad madikhani. altaeayush alsilmiu fi daw' alquran alkarim wasirat alnabii al'akram bahath bimajalat adab alkufat aleadad 45, rabie al'awal 1442hi,
- almaslaha. eabdallh bin eabd aleaziza. bahath 'usus altaeayush alsilmii fi al'iislami, majalat aljamieat al'iislamiati, eadad 41, 2007m.

- **alnadwi. 'abu alhasani, alsiyrat alnabawiat dar alqalam dimashqa, 1420hi.**
- **wafa'. du. diridi wada. ealaa 'aiu. altaeavush alsilmii waliat tikrishi. iamieat batnat aliazavar. maialat aldirasat al'iislamiat walaijtimaeiat mujalad 2 eadad 16, eam 2019m.**